اعتذاريات

عدي بن زيد العبادى

دراسة تاريخية، تحليلية، موازنة

الدكتورة

آمال كمال ضرار محمد

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد بالكلية

تقديم:

يتراود إلى أذهان كثير من الباحثين أن المبدع في "فن الاعتذار" في الشعر الجاهلى هو النابغة الذبيانى بلا منازع، وأغفل الكثير أن "**عدي بن زيد العبادى**" قد نازعه الإبداع في فن الاعتذار الذي وجهه إلى "النعمان بن المنذر"عندما كان ملكاً لعرش الحيرة.

وهذه الدراسة عن "**اعتذاريات عدي بن زيد**" مساهمة في بيان فلسفته في فن الاعتذار، وإنه في اعتذارياته للنعمان بن المنذر، كان منافساً للنابغة في استعراض دفاعه، ودحض مزاعم خصومه، فكان بمثابة المحامى البارع، الذي يستخدم أسلوب الاستعطاف تارة، وأسلوب الحجة والبرهان تارة أخرى، وهذا ما نسعى لتوضيحه من خلال هذا البحث. ومن أجل ذلك رأينا أن نتخذ عدة مناهج من مناهج البحث الأدبى ومنها:

أ- المنهج التاريخي الذي يوضح ويبين كيف اتصل عدي بالنعمان بن المنذر والتاريخ الذي يربط بينهما.

ب- المنهج النفسي الذي يبين العلاقة بين التجربة الشعرية والإبداع الفنى لاعتذارياته.

ج- المنهج الفنى ومن خلاله تم تحليل النصوص الشعرية تحليلاً فنياً وبيان ما اشتملت عليه من قيم فنية.

وفي ضوء هذه المناهج تحدثت عن:

حياته ونشأته وقبيلته وديانته، وعلاقته بملوك المناذرة، ودور عدي في تولية النعمانى عرش الحيرة، ثم تتويج النعمان ملكاً، وسجن عدي بن زيد العبادى، وكيف أفسد "ابن مرينا" العلاقة بين النُعمان وعدي، والسبب

في قتله، ثم تحدثت عن ملامح شخصيته من خلال شاعريته، ثم تعرضت لاعتذارياته بالنقد والتحليل الفنى والنفسي وأنهيت ذلك بعقد موازنة بينه وبين النابغة الذي شاع وانتشر أنه مبدع فن الاعتذار، وقد رأيت أن من ذهب إلى ذلك قد جانبه الصواب وكانت هذه هى أهم نتائج هذا البحث.

حياته ونشأته:

١- نسبه

قالت المصادر في نسبه:

هو عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيُّوب بن مَحْروف ابن عامر بن عُصَيَّة بن امرئ القيس بن زيد بن مَناة بن تميم بن مر ابن أد ابن طانجة بن إلياس بن مضر بن نذار[١]، ويكنى بأبى عمير وقيل أبا عمر وقيل أبا سواده.[٢]

ومن المصادر من وقفت عند نسبه على تميم ومنهم من زاد إلى أن وصل به إلى نزار. ولكان على أى حال فالمصادر اتفقت في نسبه وإن كان هناك اضطراب في كلمة حماد ولكنه اضطراب في التنقيط ما بين حمَّاد وخمار، وخمّار ونقول إن هذا الاختلاف ليس جوهرى وإنما يرجع إلى ضبط الأسماء وزادت جمهرة أنساب العرب في نسبه قائلة "صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة".[٣]

وقبائل العباد التى ينتمى إليها عدي "قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية .. وأنفوا أن يقال لهم عبيد" وقد

(١) شعراء النصرانية، لويس شيخو، ص ٤٣٩، طبعة بيروت، سنة ١٩٢٦.
وأنظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، جـ١، ص ٣٥، طبعة السعادة، سنة ١٩٤٧م.

(٢) الشعراء لأبى جعفر البغدادى، ص ٢٨٨، تحقيق عبد السلام هارون.
وأنظر معجم الشعراء للمرزبانى، ص٧٣، صححه وعلق عليه الدكتور ف كرنكر، وبسط الآلئ، ص ٢٢١، لأبى عبيد البكرى.
وأنظر المزهر فى علوم اللغة للسيوطى، جـ٢، ص ٤٢٥، دار الجيل، بيروت، ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، ص ١٧٨، الطبعة الثانية، تحقيق بنت الشاطئ، دار المعارف.

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى، تحقيق عبد السلام هارون، ص ٢١٤، طبعة دار المعارف، وانظر الاشتقاق لابن دريد، ص١٣، مطبعة السنة المحمدية، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٤١م.

اختلف الباحثون القدماء حول السبب الحقيقى الذي من أجله لقبوا بالعباد ففي حين نرى أبا الفرج الأصفهانى يقول: إنهم سموا بذلك، لأنهم لما أغار عليهم سابور ذو الأكناف اتخذوا شعاراً لهم: "يالعباد الله" فسموا لذلك بالعباد.

نجد صاحب تاج العروس يرى أن اللقب إنما لحق بهم وأنهم سموا عباد لأنهم كانوا يعبدون الله(١)، وقال آخرون، سموا عباد لأنهم كانوا طاعة لملوك العجم، ثم روى قول بن أبى يعقوب، إنما سُمى نصارى الحيرة العباد لأنه وفد على كسرى خمسة منهم، فقال لأحدهم: ما اسمك؟ قال: عبد عمرو وقال للثانى: ما اسمك؟ قال عبد ليل وقال للثالث ما اسمك؟ قال: عبد المسيح وقال للرابع ما اسمك: قال: عبد ياسوع، فقال كسرى أنتم عباد كلكم فسموا "العباد".(٢)

٢- ديانته:

كان عدي بن زيد نصرانياً ولكن نصرانيته كانت مشبعة بالوثنية شأنه شأن من تنصروا من العرب قبل الإسلام، فلا ينبغى أن نبالغ في تصور .. أنهم قاموا بتعاليم النصرانية قياماً دقيقاً، فقد عرفوا الكنائس والبيع والرهبان والصوامع، ولكنهم ظلوا لا يتعمقون في هذا الدين الجديد، وظلوا يخلطونه بغير قليل من وثنيتهم، وربما كان مما يوضح ذلك خير توضيح قول عدي بن زيد العبادى:

سعى الأَعداءُ لا يألون علَّى وربِّ مكة والصَّليبِ

(١) تاج العروس للزبيدى مادة "عبد"، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٠٦هـ.

(٢) سمط اللألى، ص ٣٢١، للبكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى لجنة التأليف والترجمة، ونشر سنة ١٩٣٦م، معجم ما استعجم للبكرى، تحقيق السقا، طبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر سنة ١٩٥١، جـ١، ص ٢٣-٢٥.

شـــــــــــــــــرَّاً

فهو يجمع في قسمه بين رب مكة الوثنية ورب الصليب، وكذلك كان أكثر العرب من النصارى فهم مسيحيون وثنيون في الوقت نفسه. ومن يقرأ شعره لا يجد فيه فكرة التثليث المعروفة في النصرانية[١]، وكان لنصرانيته أثر واضح في شعره منها. أنه كثر في شعره "القصص عن الأنبياء وسيرهم"[٢].

قبيلته:

أما قبيلته فينتمى إلى "عبادى" والعباديون إحدى القبائل التى سكنت الحيرة "وكل الدلائل تدل على أن الحياة كانت مزدهرة في الحيرة قبيل الإسلام وكان أكثر سكانها من القبائل العربية وكان يجاورهم العباديون من النصارى. ويظهر أنهم كانوا أخلاطاً من العرب وغير العرب، كما كان يجاورهم الأحلاف من بعض العرب ومن النبط .. وكانوا يحترفون الزراعة، وكانت هناك جالية فارسية، تمتهن بعض المهن والحرب .. وكانت الحيرة سوقاً تجارياً، وكل ذلك ساعدها على التحضر، وأن تتأثر بالثقافية الهيلينية الفارسية التى كانت تعم في تلك الأنحاء.[٣]

والعباد يشكلون بطون من قبائل متفرقة قدموا الحيرة وأقاموا فيها، وكانت ديانتهم النصرانية في شتى بطونهم وكانت لهم معابد وطقوس معينة.

(١) تاريخ الأدب العربى، "العصر الجاهلى"، شوقى ضيف ص ١٠١، طبعة دار المعارف، الطبعة الثامنة.

(٢) نفسه ص ١٠٢.

(٣) نفسه، ص ٤٧.

ونحن لا نريد هنا أن نتعرض للنواحى التاريخية والجغرافية للحيرة مما لا شك فيه أن كثيراً من الكتب تحدثت عن ذلك وكل ما سنذكره إشارة مختصرة تتصل بما نحن بصدده من دراسة "**فن الاعتذار**" عند "**عدي بن زيد العبادى**" حيث أن اعتذاره كان للنعمان وهو أحد ملوك الحيرة فكيف ومتى نزل عدي وأهله إلى الحيرة وهل كانت أصوله لها باع في اعتذارياته سنتعرف على ذلك من خلال الإشارة إلى تلك اللمحات التاريخية في تاريخ مدينته التى ولد بها.

١- الحيرة وملوك المناذرة:

تعد الحيرة من المدن العريقة في تاريخها فقد تولى عرشها ملوك المناذرة تلك الملوك التى عرفت بهم الحيرة تقاليد الملك، تلك المدينة الحضارية التى دان إليها معظم القبائل. ومما يجدر الإشارة إليه أن الظواهر التاريخية تؤكد أن المناذرة عرفوا من تقاليد الملك أكثر مما عرف الغساسنة وكانت أوسع منهم سلطاناً، إذ دانت لهم بالطاعة اليمامة والبحرين وعمان وقبائل العراق، وعلى رأسها بكر وتغلب وكذلك كثير من قبائل نجد وشرقى الجزيرة إلى الحيرة، فدان معظمها بالولاء، وقد عرفت الحيرة بتقاليدها الفارسية المتمثلة في الأبنية الفخمة والقصور الجميلة والمبانى العامة.

"وقد احتلت الحيرة وأمراؤها حيزاً كبيراً في أقاصيص العرب وأخبارهم وأشعارهم".[١]

(١) العصر الجاهلى، شوقى ضيف، ص ٤٧.

وهكذا كانت الحيرة تتمتع بموقع جغرافي متميز مما جعل كتب التاريخ تصفها بالعظمة والسعة في الخيرات والهواء العليل فقالوا: "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة".(١)

ويقول أحد المؤرخين (وموقعها الجغرافي المتميز جعلها تتمتع بنسيم ندى ناعم، وجو صافي منعش، وماء عذب، وتربة خصبة عطاءه، فيها الجنان المعروشات، والمزارع الممتدة والمتاجر العظام".(٢)

وقد تركت الحاضرة الفارسية آثارها على الحيرة بالإضافة إلى التأثيرات التى حدثت لها من الحاضرة البيزنطية بحكم الحروب(٣) التى كانت تدور في رحابها بين المناذرة والغساسنة.

نزول آل عدي بن زيد الحيرة والسبب في ذلك:

العباديون رهط الشاعر هم بطون من النصارى سكنت الحيرة وتأثرت بحضارتها الفارسية التى كانت تعم في أنحائها ويذكر صاحب الأغانى سبب نزول آل عدي بن زيد الحيرة فيقول: "أن جده أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بنى امرئ القيس بن زيد مناة، فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق بأوس ابن قلاَّم أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة، وكان بين أيوب بن محروف وبين أوس بن قَلاْمٍ هذا نسب من قبل النساء، قلما قدم عليه أيوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث، ثم إن أوساً قال له: يا بن خال، أتريد المقام عندى وفي دارى؟ فقال له أيوب: نعم، فقد علمتُ أنى إن أتيتُ قوياً وقد أصبتُ

(١) المسالك والممالك للأصطخرى، ص ٨٢، طبعة ليدن، سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٩٤.

(٢) معجم ما استعجم، البكرى، جـ٢، ص ٤٧٩، تحقيق مصطفى السقا، طبعة لجنة التأليف والترجمة

(٣) التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور شوقى ضيف، ص ٣٩، دار المعارف، الطبعة السابعة، سنة ١٩٥٩م.

منهم دماً لم أسْلمَ، وما لى دارُ إلا دارك آخر الدهر، قالَ أوس:إنى قد كبرت وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرف ولدى لك من الحق مثل ما أعرفُ، وأخشى أن يقع بيتك وبينهم أمر يقطعون فيه الرّحم، فانظر أحب مكان في الحيرة إليك فأعلمنى به لأقطعه أو ابتاعه لك، قال: وكان لأيوب صديق في الجانب الشرقى من الحيرة، وكان منزل أوس في الجانب الغربىّ، فقال له: قد أحببت أن يكون المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام ابن عبده أحد بنى الحارث بن كعب، فابتاع له موضع داره بثلاثمائة أوقية من الذهب وأنفق عليها مائتى أوقية ذهباً، وأعطاه مائتين من الإبل يرعاها وفرساً وقينة، فمكث في منزل أوس حتى هلك، ثم تحول إلى داره التى في شرقىّ الحيرة فهلك بها. وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أيوب فلم يكن منهم ذلك يملك الأول له أيوب منه جوائز وحملان.

مقتل زيد بن أيوب:

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلاَّم فولدت له حمّادا، فخرج زيد بن أيوب يوما من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحقير - المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره – فانفرد في الصيد وتباعد عن أصحابه، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأر من قبل أبيه، فقال له - وقد عرف فيه شبه أيوب: ممن الرجل؟ قال: من بنى تميم، قال: من أيهم؟ قال مَرَئِىّ، قال الأعرابى: وأين منزلك؟ قال الحيرة، قال: أمن آل أيوب أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بنى أيوب؟ واستوحش من الأعرابىّ، وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه، فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلمه أنه قد عرفه، فقال له زيدُ بن أيوب: فمن أى

العرب أنت؟ قال أنا امرؤ من طيئ، فأمنه زيد وسكت عنه، ثم إن الأعرابى أغفل زيد بن أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه فغلق قلبه، فلم يرم حافر دابته حتى مات.(١)

ومات "زيد بن أيوب" وترك ابنه حماداً صغيراً ثم تعهده أخواله بالرعاية وعلمته أمه الكتابة فكان حماد بن زيد أول من كتب من بنى أيوب فذاع صيته حتى تولى الكناية للنعمان الأكبر(٢)، ولبث كاتباً له حتى ولد له ابن من امرأة تزوجها من طيئ فسماه زيداً باسم أبيه.

سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى:

اعتنى والد زيد بتعليمه الكتابة وكان لوالده "حماد" صديق من الدَّهَاقين العظماء يقال له فرّوخ ماهَان، وكان محسناً إلى حماد، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدهقان فأخذه الدهقان فلقنه الفارسية بجانب العربية.

الدهقان يشير على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه

وكان لبيباً فاشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد "المرازبة" فمكث يتولى ذلك لكسرى زماناً، ثم إن النعمان النصرى اللخمى هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل يُنَصِّبُه، فأشار عليهم المَرْزُبانى بزيد بن حَمَّاد، فكان على الحيرة إلى أن مَلَّك كسرى "المنذر بن ماء السماء".

مولد "عدي بن زيد" ونشأته:

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، جـ٢، ص ٥١٤: ٥١٧.
(٢) نفسه، ص ٥١٨.

زيد بن حماد ينكح نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له "عدياً"

ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شئ، وولدللمرزبان ابن فسماه "شاهان مرد" وإذا تحدثنا عن نشأة عدي بن زيد، فنرى أن المصادر لم تحدد السنة التى ولد فيها، ولكن بعض المصادر الحديثة ذكرت أنه عاش في النصف الثانى من القرن السادس الميلادى[١] وأخرى حددت وفاته وميلاده ما بين سنة ٥٤٥ ـ ٥٨٥م[٢] وقالت أحد المصادر الحديثة أن ميلاده كان في سنة ٤٨٠.[٣]

وقد كانت نشأته ما بين أسرة أتقنت الكتابة وأتقنت الفارسية وكانت ثقافتها الفارسية والعربية وراء تقربها من قصور الأكاسرة والمناذرة وكان أبوه قد مهد له الطريق بالاتصال بالأمراء حين أسند إليه كسرى أمور البريد .. وذلك عندما رشحه "الدهقان" لذلك.

الدهقان يتولى رعاية عدي:

هكذا نشأ "**عدي**" وسط هذه الأسرة التى أتقن راعيها الكتابة وعلم ابنه العربية، وكان للدهقان ابن ولد مع عدي في نفس السنة نفسها، فأرسله مع ابنه ليتعلم الفارسية فأتقناها وأصبح من أفصح الناس وتعلم الشعر وتعلم الرمى بالنشاب فخرج من الأساورة الرُّماةِ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصَّوَلحة وغيرها.[٤]

(١) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، ص ١٩٦.
(٢) شعراء النصرانية – لويس شيخو، ص ٤٤١.
(٣) أنظر دراسات فى الأدب العربى تأليف فول غرينارم، ترجمة الدكتور إحسان عباس وفريجه ونجيم والبازجبى، ص ١٤٠، طبعة بيروت.
(٤) الأغانى، جـ٢، ص ٥١٩.

وبذلك كان عدي من المثقفين في عصره فقد تعلم العربية وأتقنها ثم أتقن الفارسية كذلك. مما أتاح له الفرصة في الاطلاع على الكتب الفارسية ومما لا شك فيه أن ذلك أكسبه كثيرًا من المهارات العامة.

وقد أتيحت له ثقافات متنوعة لم تتح لمثله من معاصريه يقول أحد المؤخرين "وكان عدي أحد الحكماء من قراء الكتب"(١) وقال صاحب الحيوان "وكان عدي نصرانياً ديَاناً وترجماناً وصاحب كتب وكان من دهاة ذلك الدهر "(٢).

عدي أول من يكتب بالعربية في ديوان كسرى:

يروى صاحب الأغانى، إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه "شاهان مرد" فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى فجعل كل واحد منقاره في منقار الآخر، فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرة، فقال للمرزبان وابنه، ليرم كل واحدٍ منكما واحداً من هذين الطائرين، فإن قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجواهر، ومن أخطأ منكما عاقبته، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعاً فبعثهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جواهر، وأثبت شاهان مرد وسائر الأولاد المرزبان في صحابته، فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك: إن عندى غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه في حجرى فربيته، فهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، والمُلكُ محتاج إلى مثله، فقال كسرى: أدعه. فأرسل إلى **عدي بن زيد**، وكان جميل الوجه فائق الحسن، وكانت الفرس تتبرك بالجميل

(١) البدئ والتاريخ لمطّهِر بن طاهر المقدرسى، ص ٢٠٤، طبعة باريس، سنة ١٩١٩م.
(٢) الحيوان للجاحظ، جـ٤، ص١٩٧، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبى، ١٩٤٠م

الوجه فلما كلمه وجده ألطف الناس وأحضرهم جواباً، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان، فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة إلى عدي ورهبوه، وذاع صيت عدي بين ملوك الحيرة ووقروه يقول صاحب الأغانى "فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن له عليه في الخاصة وهو معجب به قريب منه، وأبوه زيد بن حماد يومئذ جبى إلا أن ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه، فكان عدي إذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدي، فعلا له بذاك صيتُ عظيم".(١)

ومن هذه الروايات يتضح لنا أن عدياً قد وصل إلى أحد المناصب العليا في إطار الشئون الفارسية.

ازدياد ارتباط الفرس بعدي في عهد هرمز بن كسرى أنو شروان

وفي عهد هرمز ابن كسرى أنو شروان – زادت الصلة وقويت بين عدي وبينه فعهد إليه بمهمة السفارة بينه وبين قيصر الروم، وقد قدم عدي إلى ملك الروم هدية كسرى فرحب به ملك الروم عند زيارته ويذكر أنه طاف به أطراف بلاده ليريه ما يتمتع به من ملك عظيم، ومكث في دمشق فترة من الزمان فحن إلى الحيرة فقال فيها شعراً ومنه:

رُبَّ دارٍ بأسفل الجزع من دو مَـةَ أشْـهَى إلـىْ مـن جَيُـرون(٢)
ونَـدَامَى لا يفرَحـون بمـا نـا لُـوا ولا يرهَبُـون صَـرْفَ المَنُـونِ

ترشيح والد عدي لمقاليد الملك

(١) الأغانى، جـ٢، ص ٥٢٠.

(٢) الديوان عدى، ص ١٨٦، تحقيق محمد جبار العيد وهو فى معاهد التنصيص، جبيرون من اسم موضوع عند باب الشام والبيت الأول فى معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسى، جـ١، ص ٣١٨، تحقيق محى الدين عبد الحميد، طبعة السعادة، سنة ١٩٤٧م.

وفي أثناء إقامة عدي بدمشق تدهورت الأحوال السياسية في الحيرة بسبب ما شاع وانتشر من جور المنذر وقد أجمع القوم على قتله فبعث المنذر إلى والد عدي بن زيد معلناً رغبته في التنازل عن مقاليد الملك له، فقال زيد: "إن الأمر ليس إليّ ولكننى أسبر لك هذا الأمر، ولا آلوك نصحاً".(١)

وفي الصباح، غدا الناس إلى "**زيد**" فحيوه تحية الملك، وطلبوا منه أن يريحهم من المنذر، فلم يهتبلها زيد فرصه لتتويجه ملكاً، بل هدّأ من ثائرتهم، وأشار عليهم برأى، فيه الدهاء السياسى. والإخلاص للبيت المالك، وهو: أن يملك المنذر ولا يحكم قال لهم: تدعونه على حاله، فإنه من أهل بيت ملك، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً، يكون أمر الحيرة إليه، إلا أن يكون غزو أو قتال، فلك اسم الملك، وليس إليك سوى ذلك من الأمور .. فولى أهل الحيرة زيداً على كل شئ سوى اسم الملك فإنهم أقروه للمنذر وفي ذلك يقول عدي للنعمان:

نحنّ كُنّا قَدْ عَلِمتُم قبلَكُم عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ(٢)

ومما فعله زيد قد أرضى الناس وأرضى المنذر فحفظ له الجميل ولابنه عدي من بعده. ويقال إن عدياً عندما أراد العودة من الشام عائداً إلى ملك الروم وقد حمل هدية قيصر إلى كسرى ولما بلغها علم أن أباه والمرزبان فروخ ماهان الذي رباه قد هلكا جميعاً، فاستأذن كسرى في

(١) الأغانى، جـ٢، ص ٥٢١.

(٢) أنظر ديوان عدى بن زيد العبادى، ص ٩٤، بغداد، سنة ١٩٦٥، تحقيق محمد جبار المعين.

الإلمام بالحيرة، فأذن له، فتوجه إليها، وبلغ المنذر خبر قدومه، فخرج وتلقاه في الناس ورجع معه.(١)

دور عدي في تولية النعمان بن المنذر عرش الحيرة

هكذا كانت نشأة عدي في أسرة توصلت إلى أعلى المناصب في عهد كسرى فكان والده ملك الحيرة السابق وهو كاتب كسرى بالإضافة إلى ذيوع صيته، وهو المقرب لدى المنذر، وهو المثقف والملم بالثقافتين العربية والفارسية. كل هذه الصفات جعلت عدي "أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة، ولو أراد أن يملكه كسرى على الحيرة لملّكه ولكن كان يحب الصيد واللهو ولم يكن راغباً في ملك العرب".(٢)

ومكث عدي على ذلك سنين، فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة، ويأتى المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى، وتذكر المصادر في حجر عدي بن زيد الذي تكفل بإرضاعه ثم بتربيه وتأديبه، وكان للمنذر ابن آخر يقال له "الأسود" أشرف على إرضاعه وتربيته قوم من أشراف الحيرة يقال لهم: بنو مرينا ولما احتضر المنذر كان له من الأولاد عشرة أوصى بهم إلى إياس ابن قبيصه الطائى، وملكه على الحيرة.

عدي يرشح النعمان لتولية عرش الحيرة

حينما أراد كسرى أن يختار من أبناء المنذر من يتولى إمارة الحيرة استخدم عدي الدهاء السياسى(٣) مزكياً النعمان عند كسرى وقد اضفي

(١) الأغانى، جـ٢، ص ٥٢٢.

(٢) معجم الشعراء للمرزبان، ص ٧٤، للإمام أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبان صححه وعلق عليه الأستاذ الدكتور ف – كرنكو، دار الجبل ببيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٣) أنظر تفاصيل ذلك فى:

عليهم كثيراً من الصفات المحببة لدى كسرى كالخشونة وقوة التحمل والصبر والشجاعة والإقدام. وهنا رأى كسرى أن النعمان هو خير من يمثل إمارة الحيرة وخير من يدافع عنها ضد الأعداء المهاجمين ففضله على إخوته الذين نصحهم عدي أن يظهروا على النعمان بمظهر الشرف والنعيم وهو يعلم أن النعمان كان لا يفضل هذه الصفات فيمن يتولى ملك الحيرة في الوقت الذي أوصى فيه النعمان بظهوره بمظهر المتقشف المتجلد الذي يقبل على الطعام بشراهه وكان عدي يعلم أن كسرى يفضل هذه الصفات في الوقت نفسه قام عدي بتلقين النعمان بعض الكلمات التى تعجب النعمان. وذلك أنه أوصاه إذ ساله كسرى: هل تكفينى العرب؟ أن يجيب نعم فإذا قال له: فمن لى بإخوتك؟ أن يكون جوابه إن عجزت عنهم، فإنى عن غيرهم لأعجز، في الوقت الذي قال لأخوته ضد هذا الكلام حتى لا يكونوا من المقبولين عند كسرى.

بالإضافة إلى أنه أوصى النعمان أن يدخل على كسرى وقد ا رتدى ملابس االسفر متقلداً السيف، وأوصى أخوته أن يدخلوا عليه مرتدين أفخر الثياب ،اجملها كما أوصاه أن يقبل على الطعام بشراهة رجل الميدان المكافح، وأوصى إخوته أن يتباطؤوا في الأكل، وأن يكتفوا بالنذر المسير، وكان كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ويرى فيها دليلاً

الكمل فى التاريخ لابن الأثير، جـ١، من ص ٢٨٥: ٢٩٣، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

وأيام العربي فى الجاهلية، ص ١١، وما بعدها تأليف محمد أحمد حاء المولى بك، على محمد الجادى ومحمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبناان، الناشر المكتبة الإسلامية.

على قوة الرجل وقدرته على خوض المعارك وتحمل المشاق، ويرى أنه لا خير في العربى إذا لم يكن أكولاً شرهاً.(١)

هكذا استخدم عدي الدهاء السياسى في تولية النعمان بن المنذر وفي الوقت نفسه دهاؤه جعله في محل ثقة بين الجميع حتى بين سائر إخوة النعمان.

تتويج النعمان ملكاً وسجن عدي بن زيد العبادى

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار أن ما استخدمه عدي من دهاء سياسى كان السبب في أن اكتظ قلب "عدي بن مرينا" الذي تولى تربية ابن آخر. للمنذر يقال له "الأسود" وحاول تنبيه الأسود إلى مكر عدي ودهائه ولكنه لم يعبأ به وقال له: إن عدياً لم يألنى نصحاً، وهو أعلم بكسرى منك، وإن خالفته أوحشته، وأفسد علىّ، وهو جاء بنا ووصفنا وإلى قوله يرجع كسرى.(٢)

ولكن بعد أن تولى النعمان الملك واستولى على النفوذ في الحيرة تأكد للأسود مكر عدي بن زيد العبادى فحقد عليه وأشعل نار حقده عليه "عدي بن مرينا" الذي أخذ يذكره بمكر عدي الذي أبعده عن منصب الملك وولى أخاه النعمان وقد حثه ابن مرينا على الثأر منه وقد استخدم ابن مرينا كافة الوسائل للانتقام من عدي بن زيد ويذكر أنه كان كثير المال والصنيعة".(٣)

---

(١) الأغانى، جـ٢، ص ٥٢٥.
وانظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير، جـ٢، ص ٢٨٠ وما بعدها.
وانظر أيام العرب فى الجاهلية، ص ١١، وما بعدها.

(٢) الأغانى لأبى الفرج الأصفوانى، جـ٢، ص ٥٢٩.

(٣) نفسه، جـ٢، ص ٥٣٠، وأنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، من ص ٢٣١-٢٣٩.

ولم يكتف بما لديه من مال بل طلب من الأسود إمداده بالمزيد ليعاونه على الانتقام من عدي. فما كان يمر يوم إلا وعلى باب النعمان هدية من ابن مرينا. فصار من أكرم الناس عليه، حتى كان لا يقضى في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا".[١]

ابن مرينا يفسد العلاقة بين "عدي بن زيد العبادى" وبين النعمان بن المنذر

استخدم ابن مرينا الدهاء السياسى في إفساد العلاقة بين عدي بن زيد وبين النعمان وذلك بالاتفاق مع الحاقدين على عدي فقاموا بالتقول عليه بالكذب افتراءاً أمام النعمان فقالوا إن عدياً قد قال: إن له الفضل في تولية النعمان الملك. فغضب النعمان واشتد غضبه عندما قرأ كتاباً على لسانه ممتلئاً بالافتراءات. فقام بالإرسال إلى عدي بن زيد: عزمت عليك إلا زرتنى فإنى قد اشتقت إلى رؤيتك، وعدي يومئد عند كسرى، فاستأذن كسرى فأذن له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس.[٢] فما قاله

ليس شئ على المنون بباق غير وجه المسيَّح الخلاق
إن نكن آمنن فاجأنا شرُّ مُصيبُ ذا الوُدِّ والإشفاقِ
فبدئ صدرى من الظلم وحنث بمعقد الميثاق للـــــــــــــــرَّبّ

(١) نفسه، جـ٢، ص ٥٣٢.

(٢) الأغانى، جـ٢، ص ٥٣٢

وأنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ١، من ص ٢٣١: ٢٣٩، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، ص ١٩٧٧م.

ولكن النعمان لم يغفر له وذكرت أحد المصادر أن سبب حبس النعمان لعدي بن زيد، أن عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغذَّى عنده هو وأصحابه فركب النعمان إليه، فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغذى عنده هو أصحابه، وشربوا حتى ثملوا، ثم ركب ورجع إلى منزله، فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى بمالك
فالمال والأهلون مصرعه لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك في يمينك أو شمالك

ويقال إن عدياً قال شعراً وهو في سجنه يتهم النعمان بتقصيره في حماية مملكة الحيرة، فقال له بعد أن أغار على المملكة رجل من غسان فأصاب في الحيرة ما أحب ويقال إنه جفنه ابن النعمان الجفْنِيّ فقال عدي بن زيد في ذلك:

سما صقر فأشعل جانبيها وألهاك الفروح والغريب
وثبن لدى الثوية ملحمات وصبحن العباد وهن شيب
ألا تلك الغنيمة لا إمال ترجيها مسومة ونيب
ترجيها وقد صابت بقُرّ كما ترجو أصاغرها عتيب(١)

فالأبيات فيها إساءة للنعمان حيث يتوجه عدي باللوم والعتاب له على تقصيره في إدارة الملك وحمايته له وفي نفس الوقت فيه الإشادة مما زاد من غضب النعمان عليه فلم يستمع إلى أى استعطاف توجه به عدي إليه.

(١) الأغانى، جـ٢، ص ٥٣٦.

السبب في مقتله:

عندما طالت مدة إقامة عدي في السجن أرسل إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بأبيات قال فيها:

أبْلِغْ أُبَيَّا على نَأيْهِ ... وهَلْ ينفعُ المرءَ ما قدْ عَلِمْ
بأنَّ أخاكَ شقيقَ الفُؤا ... دِ كنت بهِ واثِقاً ما سَلِمْ
لدَى مَلِكٍ موثَق في ... إمَّا بحقّ وإمَا ظُلِمْ[1]
الحديد ... م. ما لْم تَجْد عارِماً تَعْتَرِمْ
فلا أَعْرِفَنْك كذات الغْلا ... تَنَمْ تَوْمَةَ ليسَ فيها حُلُمْ
فأرضَكَ أرضَكَ إنْ تَأتِيا

فكتب إليه أخوه أبيّ:[2]

إن يك خانك الزمان فلا عا ... جز باع ولا ألَف ضعيف
وبيمين الإله لو أن جأوا ... ءَ طحونا تضئ فيها السيوف
ذات رز مجتابة غمرة المو ... ت صحيح سربالُها مكفوف
كنت في حميها لجئتك ... فاعلمن لو سمعت إذ
أسعى ... تستضيف
أو بمال سألت دونك لم ... ع تلاد لحاجة أو طريف

(١) نفسه، جـ٢، ص ٥٣٦
وأنظر أيام العرب فى الجاهلية، ص ١٦ وما بعدها.

(٢) أيام العرب فى الجاهلية ص١٧، الألف: أى الثقيل البطئ، الجأواء: أى الكتيبة التى يعلوها السواد لكثرة الدروع، الطحون: الكتيبة العظمية تطحن ما لقيت، الرز: هو الصوت، السربال هو: القميص، المكفوف: من كففت الثوب إذا خطت حاشيته ولعله يريد أنها كتيبة سالمة، تستضيف: أى تتجيد، شرواك أى: مثلك.

يمنـــــــــــــــــا لم يهلنى بعد بها أو مخوف
أو بأرضِ اسطيع أتيك فيها لجزوع على الصديق أسوف
ولعمرى لئن جزعت عليه لقليل شرواك فيما اطوف
ولعمرى لئن ملكت عزائى

فلما قرأ "أبىُ" كتاب عدي أخبر كسرى به، فكتب كسرى إلى النعمان يأمره بإطلاق سراح عدي، ويقال إن أبى قد أ وصى الرسول بالدخول على عدي وإخباره بالكتاب المرسل من قبل كسرى إلى النعمان، ولكن عدياً هدده بالقتل إن خرج ولم يعطه الكتاب، وعلم النعمان بأمر الرسول، واشتعل قلب النعمان حقداً عندما بلغه الواشون: لئن أفرج عن عدي لينتقمن ولن يستبقى منا أحداً، أنت ولا غيرك، فبعث به إليه النعمان وأعداءه فغمَّوه حتى مات، وتذكر المصادر أن أقرب بالسنوات إلى وفاته سنة ٥٩٧م[١]، ولكننا نرى أنه قتل في السجن عام ٦٠٤م[٢] قبل ظهور الإسلام بست سنوات، حيث أنه ظل فترة طويلة في السجن يعتذر للنعمان، ولكن دون جدوى، وكان مقتل عدي سبباً من أسباب النفور بين الفرس والمناذرة، بل سبباً في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس.[٣]

ملامح شخصيته كما تبدو في شعره

(١) تاريخ أداب اللغة العربية لجورجى زيدان، جـ١، ص ٨٢، منشورات مكتبة الحياء، بيروت، لبنان.
(٢) تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ، جـ١، ص ١٨٥، ط١، دار العلم للملايين.
(٣) نفسه، ص ٥٢٧.

يبدو للنظر في شعر عدي بن زيد العبادى صورة واضحة المعالم لشخصه ولا غرو في ذلك فقد تميز شعره بالتعبير الصادق عما عاناه الشاعر وعاشه تجربة حية، وعما يجول في نفسه من مواقف تبين ملامح الشخصية عنده وهى:-

١- المكر والدهاء السياسى

لعل أولى الصفات المعنوية التى يتصف بها عدي هى سعة الحيلة والدهاء السياسى وقد اتضح ذلك من خلال ترشيحه للنعمان للملك وما فعله من حيل كى يبعد أخوته من مقاليد الحكم.

٢- الصبر وقوة التحمل

ينبض شعر عدي بما تحلى به من صبر قولاً وفعلاً، وما يقضتيه الصبر من أخلاق سامية وآداب رفيعة ويقول في ذلك:

إنْ يُصِبْنِ بعضُ الأذاةِ[١] فلا وانِ ضَعيفُ ولا أكبُّ عَثورُ[٢]
فاصبر النفس للخطوب فإن الدّهر يرجو حيناً وحيناً ينير

فهو يظهر صابراً متجلداً أمام نوائب الدهر وصروفه وأحداثه في جميع الظروف وفي كل الحالات.

٣- العدل والإنصاف للحق

فهو يتمسك بالحق وينصف المظلوم فيقول:

وأنا الناصرُ الحقيقةَ إن يومُ تَضيقُ فيه الصدورُ[٣]
أظْلَم

(١) الأذاة: أى الهنات

(٢) الحماسة البصرية، جـ٢، ص٤٢١، تأليف صدر الدين على بن الحسن البصرى، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب.

(٣) نفسه

ويقول:-

وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلُم وبالبَذل من شكوى صديقك فافتدِ[1]

٤- الكرم والشهامة والمروءة

وتحلى عدي بالكرم، وهو خلة طبيعية ملازمة للعربى في جاهليته وفي مختلف العصور، والجود في نظر عدي هو الذي يجعله يأبى خيانة الأصفياء فكان كرمه هو الذي ينهاه إذا بدر منه ما يخالفه فيقول:

وما بدأتُ خليلاً أوْ أخا ثِقَةٍ بحَنْعَة، لا وربّ الحِلِّ والحَرَمِ
يَأْبى لَيِ اللَهُ خونَ الأصفياءِ وإنْ خانوا ودادى، لأنّى حاجِزى كَرَمى
ولا بَخِلْتُ بما لِي عن مَذاهِبِهِ في حاجَةِ الرُّزْءِ إنْ كانَتْ ولا الذّمِمِ
ولا أضعتُ لربٍ ما يُخَولُنِى بالعهدِ أو سبيل الِصّهْرِ والنّعَمِ[2]

فعدي يرسم صورة لكرمه المعنوى والمتمثل في عدم خيانة الأصدقاء والمقربين له ذوى الثقة وأن ماله لا يبخل به ويضعه في المواضع الصحيحة ونقول إن هذا لا ينفي ما قام به عدي من مكر وخديعة في المضاربة بين النعمان وأخوته وهو لم يخن صديقه النعمان بل استخدم الدهاء السياسيى في سبيل توليته الملك ولا ريب في ذلك فقالوا في أمثالنا الموروثة "الحرب خدعة"[3]، يعنى أن المحارب إذا خدع من يحاربه مرة وانخدع له ظفر به وهزمه.

٥- الفصاحة والإلمام بالثقافتين الفارسية والعربية

(١) جمهرة أشعار العرب ١٧٩ دار صادر بيروت.

(٢) الأغانى، جـ٢، ص ٥٣٦ تحقيق إبراهيم الإبيارى، ا لمجلد الثانى، طبعة الشعب، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٣) مجمع الأمثال للميدانى، جـ١، ص٩٧، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، طبعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م

يروى صاحب الأغانى "أن المرزبان وفد على كسرى، فكلمه في شأن عدي فقال: إن عندى غلاماً من أفصح الناس، واكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج إلى مثله".(١)

٦- الفكر الصائب والعقل الواعى والحكمة الناتجة عن تجربة

وما تمتع به عدي من عقل مفكر واعى وتفكير عميق في أحوال العامة وما خلفته له تجاربه الخاصة جعلته ينطق بالحكمة وشاعت الحكم في قصائد معينة وخاصة قصيدته الدالية. واستوحى معظم الحكم من ظروفه الخاصة المتمثلة في سجنه وفي موقف الإنسان من أصدقائه وجاء كثير من الحكم معبراً عن حالة الشاعر التى كان يعانى منها ولم تكن تلك الحكم التى صدرت منه تعبر عن حالة الشاعر فحسب وإنما كانت تعبر عن كل ذى ألم فذاعت بين الناس ومن ذلك قوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى(٢)

ولقد توصل عدي بعقله الثاقب إلى أن الإنسان موسوم بسيماء من قارب ومنسوب إلى أفاعيل من صاحب فقد قال بعض الحكماء: أعرف أخاك بأخيه قبلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرءُ مع من أحب فلزم من ذلك الوجه أن يتحرز من دخلاء أهل السوء وبجانب أهل الريب، ليكون موفور العرض سليم الغيب، فلا يلام بملامة غيره".(٣)

(١) الأغانى للأصفهانى، فى جـ٢، ص ٥٢٠.

(٢) معجم الشعراء، ص ٧٤، وانظر جمهرة أشعار العرب، ص ١٧٩ للقرشى، دار صادر، بيروت.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ١٦٥، ١٦٦، تحقيق مصطفى السَّقا، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

وعن التمسك بالعدل يقول

وبالعَدْلِ فانطِقْ إنْ نطقتَ ولا تَجُرْ وذا الـــذَّمّ فَاذْمُمْـــهُ وذا الحَمْـــدِ فَاحْمَـــــــــــــــــــــــــدِ(١)

وعن ضرورة بذل المال والتنفير من البخل يقول:

ولا تُلْـــح إلاَّ مَـــنْ أَلامَ ولا تَلْـــمْ وبالبذلِ مِنْ شَكْوى صَديقِكَ فَاقْتَدِ

وللْخَلْـقَ إذلالا لِمَـنْ كـانَ بـاخِلاً ضَـنيناً ومَـنْ يبخـلْ يَـذِلَّ ويُزْهَـدِ(٢)

فهو يدعوا لى التمسك بالكرم لأن به يتقى شر الأصدقاء والأخلاء ويترفع عن أن يصفه الآخرون بالخسة واللؤم والبخل ويقول في ذلك:

قــد يــدركُ المبطــئُ مــن حظــهِ والخيرُ قد يسبق حرصَ الحريصِ(٣)

ومن ترك الكذب قال:

إذا أنـت فاكهـت الرجـال فـلا تلـع وقـل مثـل مـا قـالوا، ولا تتزيـدِ(٤)

وقل المعروف فيمن قاله، ويقول أيضاً وامنعن نفسك من قيل الفند(٥)

لا شك أن إلمام العبادى بالثقافتين العربية والفارسية بالإضافة إلى كثرة جولاته ورحلاته وصولاته، هى التى فجرت ينابيع الحكمة لديه فأتى بها وتداولها الناس وأعجب بها، وليس أدل على ذلك من قول المرزبانى

(١) جمهرة أشعار العرب، ص ١٨١، دار صادر بيروت.

(٢) جمهرة أشعار العرب، وفيه الدالية كاملة وكلها مواعظ وإرشاد

(٣) معجم الشعراء، ص ٧٤.

(٤) جمهرة أشعار العرب، ص ١٧٩. وأنظر الحماسة البصرية، جـ٢، ص٤٩ وفيها "فلا تمل"

(٥) الديوان تحقيق محمد جبار المعيبن، ص ٤٣.

.. "روى عن الحسن البصرى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمة بنى ألقيت على لسان شاعر: "إن القرين بالمقارن مقتد"[1]، وذلك في قوله:

عن المرئِ لا تسألْ وأبصرْ قرينَهُ فإن القرينَ بالمقارنِ مقتدِي

٧- التواضع والعفو عند المقدرة

إلى جانب ما سبق من ملامح شخصية عدي نجده يستأثر لنفسه بمجموعة من الخلال والصفات يجمعها في قوله:

ألا يا ربَّما عزَّ خليلى فتهاونتُ
ولو شئتُ على مقدْرةٍ منّى لعاقبتُ
ولكنْ سرَّنى أن يعلموا قدرى فأقلعتُ
ألا لا فاسْألوا الفتيةَ ما قالوا وقد قمتُ

فهو يعفو في غير ضعف مما يدل على قوة شخصيته وهو يفتخر بتواضعه أمام الأصدقاء وسمعته الحسنة بين الناس.

في قوله:

سعَى الأعداءُ لا يألونَ شَرّاً علىَّ وربِّ مكَّةَ والصَّليبِ

٨- تدنيه وتمسكه بالديانة النصرانية المشبعة بالوثنية

ويظهر تدينه في أبياته الشعرية التى يقسم فيها برب مكة والصليب معاً وها هو يقسم برب الحل والحرم فيقول:

وما بدأتُ خليلاً أوْ أخا ثِقَةٍ بحَنْعَة، لا وربّ الحِلّ والحَرَم

(١) معجم الشعراء للمزربانى، ص ٧٤، دار الجبل بيروت صححه وعلق عليه، الدكتور ف. كرنكو الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م، والبيت فى معجم الشعراء، ص ٧٤، وفى جمهرة أشعار العرب القصيدة الدالية كاملة فى ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، دار صادر بيروت ولم ترو فى غيره فى المصادر كاملة.

وقد كان تدينه وراء ما أتى به من مواعظ ناتجة عن تأملاته في الكون والحياة وهو القائل:

من رآنا فليحدثُ نفسَهُ أنه موفٍ على قربِ الزوالِ
وصرف الدهرِ لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبالِ
رب ركب قد أنا خوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلالِ
والأباريق عليها قُدُم وجياد الخيلِ تعدوْ في الجلالِ
عمّروا دهراً بعيش نضر آمنى دهرهن غير عجالِ
ثم أضحوا عَصَفَ الدهرُ بهم وكذاك الدهرُ يُودى بالرجالِ[1]

وقال أيضاً:

أيها الشامتُ المعيِّرِ بالدهرِ أأنتَ المبَّدأُ المَوقورُ
أم لديك العهدُ الوَثيقُ عن الأيام؟ بل أنتَ جاهِلُ مَغْرورُ
من رأيت المنون خلدن، أم أن ذا عليه من أن يضام خضيرُ
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وأن أم أين قبله سابورَ[2]

وعدد جماعة من الملوك ثم قال:

ثم بعد الفلاح والملك والأمـ ـة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوتْ به الصبا والدبور[3]

(١) الحماسة البصرية، جـ٢، ص ٤٠٩، تأليف صدر الدين على بن الحسن البصرى، تحقيق مختار الدين أحمد، طبعة عالم الكتب، سنة ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ، وانظر تاريخ الأدب العربى، عمرو فروج، ج١، ص ١٨٥، دار العلم للملايين.

(٢) معجم الشعراء للمرزبان، ص ٧٤، ص ١١٥، وتاريخ الأدب العربى، عمرو فروح، جـ١، ص ١٨٤، دار العلم للملايين، والشعر والشعراء، لابن قتيبه الدنيورى، جـ١، ص ٢٣١، تحقيق وشرح أحمد محمد ساكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧.

(٣) معجم الشعراء المرزبان، ص ٧٤.

والأبيات يعاتب فيها النعمان بن المنذر وتخرج حكم ومواعظ فقد تضافرت العوامل المتعددة في ذلك منها السجن والتنكر للجميل والتقول عليه. لقد سببت هذه العوامل مجتمعة ألاماً وأحزاناً كثيرة كانت ينبوعاً لحكم ومواعظ عدي بن زيد العبادى مما يطبع حكمه ومواعظه بطابع الخبرة والتعبير عن أعماق النفس الملتاعة التى اكتوت بالظروف القاسية فعدت مواعظه من المواعظ التى يتخذها الآخرون قدوة ومثالاً يحتذى به ويذكر صاحب الحيوان أن أهل الحيرة كانوا يتغنون بشعر عدي وذلك لما يروى عن أبى زيد النحوى قال: لو تمنيت أن أقول الشعر ما قلت إلا شعر عدي بن زيد:

كَفي زاجراً للمَرْءِ أيامُ دَهْرِهِ تروحُ لهُ بالواعِظاتِ وتَغْتَدى(١)

ولنتأمل أبياته التى تدل على تدينه بقوله:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمودُ
بينما هم على الأسرة والأنما ط أفضت إلى التراب الخدودُ
ثم لن ينقض الحديث ولكن بعد ذا الوعد كله والوعيدُ
وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعودُ(٢)

فشعره يؤكد زهده في الدنيا وإيمانه بالموت وقوة تدينه وعن عقيدته الدينية وتمسكه بها يذكر المبرد: "أن النعمان خرج يتنزه بظهر الحيرة

(١) الحيوان للجاحظ،جـ٧، ص ١٤٩، وانظر جمهرة أشعار العرب، ص ١٧٩، دار صادر بيروت.

(٢) الحماسة البصرية، جـ٢، ص ٤١٠، تأليف صدر الدين على عبد الحسن البصرى، تحقيق مختار الدين أحمد، طبعة عالم الكتب.
وأنظر العقد الفريد، جـ١، ص ٣٧٩، قدم له الدكتور محمد عبد السلام تدمرى، تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الأبيارى، وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، بيروت.

ومعه عدي بن زيد العبادى، فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها، فقال له عدي: أبيت اللعن أتدرى ما تقوله هذه المقابر؟ قال: وا، فقال له تقول:

أيهـــا الركـــبُ المُخبّـــون علـــى الأرض المُجِـــدّون
فكمـــــا أنـــــتُم كُنَـــــا وكمـــا نحـــن تكونـــون

فانصرف النعمان وقد دخلته رقة، فمكث بعد ذلك يسيراً، ثم خرج خرجة أخرى، فمر على تلك المقابر، ومعه غدى. فقال له: أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه المقابر؟ قال لا قال فإنها تقول:

مـن رآنـا فليحـدثُ نفسَـهُ أنه موفِ على قرب الزوال

إلخ الأبيات

فرجع النعمان: فتنصر".(١)

وعدي في تدينه جمع بين النصرانية والوثنية ومن ذلك قوله في تشبيه زجاجة الخمر

بزجاجـــة مـــلء اليـــدين كأنهـــا قنـديل فصـح فـي كنيسـة راهـب

ويقول مؤكداً خلطه بين النصرانية والوثنية:

كـلا يمينـاً بـذات الـودع لـو حـدثت فـيكم وقابـل قبـر الماحـة الـذارا

(١) الكامل فى اللغة والأدب للمبرد، ص ٤٣٤، مكتبة المعارف، بيروت، وانظر الحماسة البصرية، جـ٢، ص٤٠٨، تحقيق مختار الدين أحمد طبعة عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. وانظر الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، جـ٢، ص ٥١٤.

فجمع بين الوثنية والنصرانية في تدينه، كما ظهرت ثقافته الدينية والتاريخية من خلال القصص الدينى والتاريخى التى برزت في أشعاره.

٩- الذكاء والقدرة على ترويض الأعداء

أدرك عدي بفطنته وذكائه أن قلب "عدي بن مرينا" يكتظ بالكره والحقد عليه ويضمر له العداوة جزاءَ ما فعله من توليته النعمان إمارة الحيرة فأراد بذكاءه أن يمتص غضبه وحقده عليه فصنع طعاماً في بيته وأرسل إلى ابن مرينا أن أتنى بمن أحببت، فإن لى بك حاجة، وبعد الغداء وقف عدي. وخاطب ابن مرينا قائلاً: "يا عدي إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وأنى قد عرفت أنى أصاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليكم أن يملك من صاحبى النعمان، فلا تلمنى على شئ كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علىَّ شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطينى من نفسك ما أعطيت من نفسى، فإن نصيبى في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك وقام إلى البيعة فحلف الا يهجوه أبداً .. فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا فحلف مثل يمنه ألا يزال يهجوه أبداً ثم قال ابن مرينا

ألا أبلغ عدياً عن عدي فلا تجزع وإن رثت قواكا
هيا كلنا تبر لغير فقر لتحمد أو يتم به عناكا[١]

هذه هى ملامح شخصية عدي بن زيد العبادى الخُلقية. فما هى ملامح شخصيته الخلقِية. يذكر صاحب الأغنى أن عدياً كان "جميل

(١) الأغانى للأصفهانى، جـ٢، ص ٥٢٧.

الوجه، فائق الحسن، حسن التبسم، تقى الثغر، وكانت الفرس تتبرك بالوجه الجميل".[١]

هكذا اجتمعت لعدي كثير من الملامح الشخصية التى تؤهله حتى يكون رجلاً ذا قيادة، فهو مثقف ملم بالديانات المنتشرة في عصره ملماً بالنواحى التاريخية وبالإضافة إلى إتقانه للكتابة وإتقانه للثقافتين العربية والفارسية ولقد تقلد المناصب العليا ولا غرابة في ذلك فالمناصب العليا تمتد إلى أصوله من الجد إلى الأب وإن كان عدي بلغ من زيوع الصيت والشهرة أكثر منهما إلا أنهما مهدا له طريق الاتصال بالملوك. بالإضافة إلى مكره ودهائه السياسى الذي جعله يقوم بترويض ابن مرينا ولكن بن مرينا لم ينفع معه الترويض فهو أيضاً قد حنكته التجارب وتقدم به العمر لذا أراد الانتقام من عدي بن زيد فأفسد العلاقة بينه وبين النعمان ربيب نعمته مما جعل النعمان يزج به في السجن فقال فيه أشعاراً في الاعتذار للنعمان بن المنذر ويذكر صاحب معجم الشعراء أن له في محبسه قوله:

فهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار[٢]

اعتذاريات عدي

وفي السجن برز فن الاعتذار والشكوى في شعر عدي ولا غرو في ذلك فقد تضافرت عوامل متعددة على ذلك فقد سجن وأبعد عن الأهل وبعد عن تحقيق طموحاته وتنكر صديقه له والأهم من ذلك كله فقد تنكر له النعمان ربيب نعمته في توليته الملك. هكذا سببت هذه العوامل المجتمعة في نفسه الشعور بالكبت الناتج عما يعتريه من آلام وأحزان

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، جـ٢، ص٥٢٤.

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى، ص ٧٤.

كانت ينبوعاً له في سجنه فصدرت شكواه من قلب جريح يشعر بالمرارة والأسى فانطلق يعبر عما يشعر به في أبيات شعرية يبث من خلالها شكواه وقد ساعدته موهبته الشعرية على الإبداع في فن الاعتذار وذلك مما توفر له من "طلاقة لفظية وطلاقة التداعى وطلاقة الأفكار"(١) أى أن قدرته على إنتاج عدد من الألفاظ تتوفر فيها شروط معينة من حيث المعنى و الوزن والقافية فساعدته موهبته الشعرية مع توفر التجربة الحقيقية أن يبدع في الاعتذار فما معنى الاعتذار وما هى آراء الشعراء فيه؟

يفهم الاعتذار، من الوجهة العامة على أنه محاولة لتبرير خطأ على أساس من الاعتراف بالتقصير، وغالباً ما يكون هذا اللون بين الأصدقاء والخلان، وهذا هو الذي دفع بعض الشعراء إلى تقبيح الاعتذار فقالوا: ما اعتذر مذنب إلا ازداد ذنباً، وقال محمود الوراق:

إذا كان وَجْه العُذر ليس بِبيّن فإنَّ اطَراح العُذر خَيْرُ من العُذرِ(٢)

وليس اعتذار "**عدي**" من هذا النوع الذي نفر منه الشعراء ولكنه اعتذار يبدو صعباً ومحرجاً في نفس الوقت لأنه لم يكن له ذنب فيما حدث له إلا أنه أحسن لمن سجنه ولم يكن جزاء إحسانه إلا السجن والآلام والشكوى ومما لا شك فيه أن الاعتذار هذا من النوع الذي قال فيه بعض الشعراء:

(١) الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة للدكتور مصطفى سويف، ص ٣٥٨، دار المعارف الطبعة الرابعة.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، جـ٢، ص ١١٥، قدم له الدكتور محمد عبد السلام تدمرى، تحقيق أحمد آمين، إبراهيم الإبيارى، عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، بيروت.

أقبـل معـاذيرَ مَـنْ يأتيـك مُعْتـذراً إنْ بَـرَّ عنـدك فيمـا قـال أو فَجَـرَا
فقـد أطاعـكَ مـن أرضـاك ظـاهرُه وقـد أجلَّـك مـن يَعْصـيك مُسْـتِترا
خيْر الخَليطين من أغضى لصاحِبه ولـو أراد انتصـاراً منـه لانْتَصـرا

وقال الحكماء: ليس من العَدْل سُرعة العَدْل.(١)

وقال ابن عبد ربه:

عَـذِيرىَ من طُول البُكا لوعةُ الأسى ولـيس لِمـن لا يَقبـل العُـذْر ممـن عُـــــــــــــــــــــــــذْر(٢)

وعلى ذلك فاعتذار عدي للنعمان اعتذار مقبول لأنه يكشف عن ملابسات ما حدث بينه وبين النعمان كما يكشف عن فضله على النعمان كما يكشف عن كرم أصله وهو الفرع الناتج من الأصل وعلى ذلك فاعتذار عدي اعتذار المعتز بنفسه وبأصله وأبائه ليس اعتذار المذلول – المكسور – المتكسب وكى تتضح لنا السمات الفنية لاعتذارياته نتعرض لبعض أشعاره الاعتذارية بالتحليل والنقد.

ويقول ابن رشيق القيروانى في اشتقاق الاعتذار

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال: أحدها من المحو، كأنك محوت آثار المَوْجدة، من قولهم: اعتذرت المنازل، إذا درست، وأنشدوا قول بن أحمر:

أم كنت تعرف آياتٍ فقد جعلت أطـلال إلفـك بـالودكـاءِ تعتـذر

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه، جـ٢، ص ١١٤،
(٢) نفسه ص ١١٤.

والثانى: أن يكون من الانقطاع: كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة، ويقولون "اعتذرت المياه" إذا انقطعت. وأنشدوا للبيد:

شهور الصيف و اعتذرت إليه نطاق الشيطبين من السماء

والقول الثالث: أن يكون من الحجر والمنع .. قال أبو جعفر: يقال "عذرت الدابة" أى جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراء، فمعنى "اعتذر الرجل" أى احتجز وعذرته أى جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعقب عليه، ومنه "تعذر الأمر" احتجز أن يُقْضَى، ومنه "جارية عذراء"(١) ويشيد الجرجانى بتشبيه التمثيل إذا كان اعتذاراً فيقول: "وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أحلب، وللسخائم أسلَّ، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث.(٢)

١- من أولى أشعاره التى قالها وهو في السجن قصيدته اللامية

ليس شئ على المنون بحال لا عديم ولا مثمر مال
ليتَ شِعْرِي عن الهُمامِ ويَأْتِيكَ بُخبْر الأنْباء عَطْفُ السُّؤالِ
أينَ عنّا إخْطارُنا المالَ والأنْـ ـفُسَ إذْ ناهَدوا ليوم المِحالِ
ونضالي في جنبكَ الناسَ يَرْمُونَ وأَرْمي، وكلُّنا غَيرُ آلِ
فأُصيبُ الذي تُريدُ بلا غِشٍ وأُرْبي عليهُم وأوْالي
ليت أنى أخذت حتفي بكَفِ ىً ولم ألف ميتة الأقتّال
مَحلوا مَحْلَهُمْ لِصَرْعَتِنا العامَ فقد أوقَّعوا الرَّحا بِالّثِقالِ

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى، جـ٢، ص ١٨٠، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(٢) أسرار البلاغة فى علم البيان للجرجانى، ص ٩٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار.

ما رَجائى في اليافِعات ذوات الْـ هيَجْ أمْ ما صبري وكيفَ احْتيالي
وأنـاجى نفسـى وأشـعرك السُـودَّ بـــلا نبـــوةٍ ولا إمـــلال[1]

بدأ الشاعر البيت الثانى من أبياته بحرف "ليت" الدال على التمنى وكأنه قبل كل شئ يتمنى أن تصل صرخاته إلى النعمان. ثم يتساءل في تعجب وتألم – أين عنا أخطارنا؟ أى أين السبب الذي زج بنا في السجن، فنحن قدمنا ما نملك من مال وأنفس وجهد وسعى في تلك المعركة التى دارت بينك وبين أخوتك على تولى الملك. فأبذل الجهد وأقف بجوارك متحملاً ما يرمونه بى الناس. كل هذا وأنا لا أقصر جهداً في الدفاع عنك. وينتهى الأمر بتحقيق ما تريد.

وبعد هذه الشكوى نراه يعبر في حسرة وألم عما أصابه متمنياً لو كان بيده لتمنى موته بيده، حتى تكون أهون عليه من قتل النعمان له بعد تحريض الأعداء به عنده، ثم يقول إن هذه الوشاية التى حدثت له وتدخل بها الأعداء بينه وبين النعمان جعلته يرفض أن يكون طحن بعد اليوم بعد أن أوقعوا بين الرحا والثقالِ.

وانفعالات عدي النفسية هى التى جعلته يأتى بأكثر من أداة استفهام وكأنه في استفهاماته ينفث عما يشعر به من شكوى وألم وحزن فالشعر كما يقول الرافعى "في أسرار الأشياء، لا في الأشياء ذاتها، ولهذا تمتاز قريحة الشاعر، بقدرتها على خلق الألوان النفسية، التى تصبغ كل شئ وتلونه لإظهار حقائقه ودقائقه، حتى يجرى مجراه في النفس، ويجوز مجازاته فيها، فكل شئ تعاوره الناس من أشياء هذه الدنيا، فهو إنما

(١) الديوان ص ٥٦، ٥٧، تحقيق محمد جبار المعيبد، الناشر شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، سنة ١٩٦٥م.

يعطيهم مادته في هيئته الصامتة، حتى إذا انتهى إلى الشاعر أعطاه هذه المادة في صورتها المتكلمة فأبانت عن نفسها في شعره الجميل، بخصائص ودقائق لم يكن يراها الناس، كأنها ليست فيها".(١)

وقد صدرت شكوى عدي في القصيدة من منطلق تجربة حقيقية لذلك فهو يشعر بها ويعبر عنها تعبيراً صادقاً تنبعث بين ألفاظه نبرات الحزن والألم وهذا هو الشاعر العظيم "فاعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ... وليس هم الناس من القصيد، أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا ويودع، أحسهم وأطبعهم في نفس إخوته، زبدة ما رآه وسمعه، وخلاصة ما استطابه أو كرهه".(٢)

وعلى ذلك فقد تحقق في قصيدة عدي الاعتذارية الصدق في التجربة فانفعل بها وخرج انفعاله معبراً عن نفس ملتاعة فوصل إلى المتلقى بنفس درجة إحساس عدي. وقد صدرت شكوى عدي في بداية قصائده الاعتذارية مصحوبة بالفخر في غالب الأحيان وليس ذلك غريب. فقد رافقته العزة وعلو الهمة في حياته وتأصلت في أبائه وأجداده وقد جعلنا نتعايش معه في مأساته وذلك هو الشعر الذي قال عنه إحسان عباس "يجعلنا نحس نحو هذا الشئ ما أحسه".(٣)

(١) وحى القلم للدكتور مصطفى صادق الرافعى، جـ٣، ص ٢٣٥-٢٧٤، طبعة دار الكتاب العربى، بيروت، تحقيق محمد سعيد العريان.

(٢) ساعات بين الكتب للعقاد، من ص ٢-٢١، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٩٦٩م.

(٣) فى الشعر للدكتور إحسان عباس، ص ٩٤، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٢م.

ومن هنا يتضح لنا أن قصيدته الاعتذارية هى نوع من الشعر الإنسانى وأن بلاغتها بلاغة نفسية وإن لم تخلُ من البلاغة اللغوية ويبدو أن هذه القصيدة هى أولى القصائد الاعتذارية التى قالها لأنه مازال يفتخر ولم يكن الانكسار قد تمكن منه كما نرى في قصيدته التالية.

٢- يقول عدي في ميميته(١)

قد نام صحبى وبت الليل لم أنم ... من غير عشق تعنانى ولا سقم
إلا تأوب هم قبل وأنفعه ... والأمر يأمر حين الكربِ بالألمِ
يا نفس صبراً على ما كان من وجع ... لا تطلبن شفاء البث بالندمِ
أبا شريح فلا تحزنك عثرتنا ... فالمرء رهن لريب الدهر الحممِ
إن الأسى قبلنا صم، ونعلمه ... فيما أزيل من الأجداد والأممِ
منهم رأيت عياناً، أو تحدثه ... وما تنبأ عن عاد وعن إرمِ
وقبل ذلك من ملك ومغبطة ... بادوا، فكانوا كفئ الظل والحلمِ
إن ابن أمك لم تنظر قفيته ... لما توارى ورامى الناس بالكلمِ
فالله يعلم في رسل وفي أزل ... والله أعلم بالآلاء والنعمِ
بل رُبَّ عبْءٍ ثَقيلٍ قَدْ نهضتُ بِهِ ... فما تَزِلُّ إذا عدَّيْتُه قَدَمى
وإِرْبَتٍ قَدْ علا كَبْدي معاقُمها ... ليستْ بفَوْرِة مَأفون ولا بَرَمَ

وما بدأتُ خليلاً أوْ أخا ثِقَةٍ ... بخَنْعَةٍ لا وربِّ الحِلِّ والحَرَمِ
يأْبى لَى اللّهُ خونَ الأصْفياءِ وإنْ ... خانوا ودِادي لأني حاجِزي كَرَمِى

(١) القصيدة الميمية فى الديوان، ص ١٧٠، ١٧١، جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد والتخريج من الحماسة ٣٤١.

ولا بَخِلــتُ بمــالي عــن مَذاهِبِــه في حاجة الرُّزْءِ إنْ كانَتْ ولا الذّمَمِ(١)

يبدو أن الميمية قالها عدي بعد أن ساءت حالته النفسية فيبدو القلق والتوتر بين ألفاظه "لم أنم، والهم يأمر، وجع، إلخ. الألفاظ التى تعبر عن معنى الحزن والألم والقلق النفسي فكان اختياره للألفاظ معبراً لمعنى القلق والتوتر النفسي الذي يشعر به وهذا هو الشعر الجيد الذي قال فيه صاحب العمدة "اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر".(٢)

وقد بدأ الشاعر القصيدة بألفاظ تدل على القلق والتوتر اللذان يحولان بنيه وبين النوم نافياً أن يكون المرض هو السبب في ذلك كما ينفي أن يكون العشق له دور في سهره مؤكداً إن الذي فرق بينه وبين النوم هو القلق والتوتر نتيجة للكرب والألم ويطلب من نفسه الصبر بادئاً بأداة النداء الدالة على البعد وكأن الصبر على ما يعتريه من مشقة شئ بعيد ثم يمزج عدي الشكوى ببعض الحكم فقد نظر في الدنيا وتصاريفها وفي الناس وغدرهم وفي النفس البشرية وتلونها مما أوحى له بكثير من الحكم التى جاءت ممزوجة بشعره الشاكى وهو يتمنى أن يُنقل شكواه إلى النعمان "شريح" هى كنية النعمان، ويذكره بتقلبات الأيام وانقلاب موازين الحياة والناس فيها ما بين مصارع الأجداد والأمم والملوك وقد راينا بأعيننا هلاك هؤلاء الملوك ومن ذلك إرم – وعاد.

(١) الديوان ص ١٠٧١، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، سنة ١٩٦٥م.

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى، جـ١، ص ١٢٤، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجبل بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

ونرى عدي يمزج شكواه بالفخر والاعتزاز بأصله الطيبق وبعزة نفسه وذلك حين يذكر النعمان أنهما أصدقاء والصديق يماثل صديقه في الصفات والأفعال وما أجمل بدايته للتعبير عن ذلك بقوله "إن ابن أمك"

لا شك أن هذا إبداع من عدي ففيه "استعطاف" في شموخ وليس استعطاف في انكسار ولا ذلة، وفي نفس الوقت يلفت نظره إلى أن الصداقة جمعتهما معاً فلابد أن يكون الصديق مشابهاً لصديقه في أقواله وأفعاله، ثم يوضح له أن الظلم قد أحاط به فكرامته قد أهينت حينما تقوّل عليه الأعداء ورموه بالباطل فكان جزاؤه السجن ثم يبين له كيف تحمل كثير من المشاق في سبيل توليته الملك دون سائر إخوته، وقد أكثر من ذكر اسم الله الذي يعلم إخلاصه ووفاءه لأصدقائه ومما لا شك فيه أنه قد استخدم أحد طرق التأثير النفسي على نفس النعمان ثم يفتخر بما اتصف من جود وكرم ومن وفاء للأصدقاء والأخلاء.

ولقد أبدع عدي في استخدام أسلوب التأثير النفسي في كثير من أشكاله ما بين تذكيره بصداقتهما وأنهما تجمعهما صفات مشتركة وما بين قسمه برب الحل والحرم وترديده للقسم بالله وما بين صفاته الحميدة ونفي المكر والدهاء والخيانة منه لأصدقائه. كل هذا معبراً عنه في إطار من الألفاظ الموضوعة على قدر المعانى الموضحة لها "فالشعر لفظ موزون مقفي بدل على معنى".(١)

ولقد وفق الشاعر في اختيار الأسلوب المناسب لحالته النفسية المنفعلة فظهر الانفعال من خلال شعره، "وكأنه قوة وجدانية تسيطر على

(١) قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، ص ٧، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة، صنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الـنفس وتصـحبها تغييـرات جسـمانية ظـاهرة وأخـرى عقليـة باطنـة، واضطرابات عصبية من الممكن أن يلحظها الإنسان في نفسه وفي غيره، في أحوال الغضب".(١)

وإذا أردنا أن نقوم القصيدة من الوجهة النقدية فنقول: الحق أن هذه القصيدة اتسمت بالإجادة في المواقف التى تتصل بالشاعر ففيها الصدق فيما يشعر به من حزن وألم وفيها الإخلاص في القول أنه صديق ولا أدل على ذلك من قوله ابن أم. وفيها الانفعال الذي يبدو أنه تمكن من خلال أحواله النفسية الملتاعة ويبدو أنه يرى الكآبة بعينيه وذلك من منطلق نفسيته.

ولا ريب في ذلك "فالشعر هو رؤية الإنسان الطبيعة بمرآة طبعه، فهو شعور عام، وحس مستغرق، يأخذ المرء بكليته، ويتناوله بجميع خصائصه".(٢) فعدي كان يعانى من سوء حالته الحزينة، فطبع شكواه بطابع الحزن والكآبة هذا الطابع الذي يشمل غيره ممن يشعرون بالظلم مثله، وقد جعلنا نتعايش معه ونتأثر بشكواه وهذه قيمة الفن الشعرى "فينبغى أن يكون له سحر يجتذب شعور السامعين".(٣) وقد عبر عن ذلك في قصيدة أخرى وهى:

٣- القصيدة الرائية في اعتذارياته

(١) الأسلوب، تأليف الدكتور أحمد الشايب، ص ٧٣، الطبعة السابعة، سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) فى الأدب الحديث للدكتور عمر الدسوقى، ص ٢٢١-٢٢٤، دار الفكر العربى الطبعة السابعة، القاهرة، سنة ١٩٩٧.

(٣) فن الشعر لهورامس، ترجمة لويس عوض، ص ١١٦ الصفحة الأولى، الناشر الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، سنة ١٩٧٠م.

ويقول عدي فيها:

طـالَ ذا الليـلُ علينـا واعْتَكَـرْ وكـأنّنى نـادِرُ الصُّـبح سَـمَرْ
إذْ أتـانِى تَنَبـأ مـن مُـنْعِمٍ لـم أخُنْهُ والذي أَعْطى الشَّبَرْ
مِـنْ نَجِـيّ الهَـمّ عنـدى شـاوياً فـوقَ مـا أعلـنُ منـه وأُسِـرُّ
وكـأنَّ الليـلَ فيـه مثلُـهُ ولَقِـدمْاً ظُـنَّ بالليـلِ القِصَـرُ
لـم أُغّمِضْ طولَه حتى انقَضى أَتَمنَّـى لـو أرى الصـبَح حَشَـرْ
شَـئِز جَنْبِـي كـأنّي مُهْـدَأ جعـلَ العـينُ علـى الـدَّفّ إِبَـرْ
غيـرَ مـا عِشْـقٍ ولكـنْ طـارِقُ خَلَسَ النومَ وأجْداني السَّهَرْ[1]

وكأن القلق والتوتر قد تمكن من نفسه فهو في القصيدة هذه يعبر عنه مثلما عبر عنه فيما سبق فالهم يجعل ليله طويل بل أكثر من ذلك فهو دائم التقلب لا يستقر على جنب كأن هناك إبر نخره في جنبه وهى محماه فتكويه فتجمع بين شكها وكيها تتجافي جنوبه عن المضاجع تجسيد وتشخيص لحالته النفسية وكأنها صورة ماثلة أمام العين بحركاتها وسكناتها.

فهو يجسد المعنوى في صورة حسية ومما لا شك فيه أن استعارة المحسوس للمعقول هى من أدق أساليب البيان تعبيراً وأرقها تأثيراً وأجملها تصويراً، وأكملها تأدية للمعنى.[2]

والاستعارة فضلها يكمن في أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة.[3]

(١) الديوان، ص ٥٩، تحقيق محمد جبار العبيد، بغداد، سنة ١٩٦٥م.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسان عباس، دار الفرقان للنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٧١هـ/١٩٩٦م.
(٣) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، ص ٢٩٦، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

وعدي بعد أن جسد المعنوى (القلق) في صورة حسية "إبرة تحت جنبه وقيدها أنها محماة" لم يلبث بعد ذلك أن يذكر السبب في قلقه حتى لا يلتبس الأمر على المتلقى فيظن أن القلق كان لعشق فيبدأ (بغير) أى أنه يغاير صفة العشق ثم يستدرك بلكن ويقول ولكن طارقُ.

ولفظة طارق قد أجاد الشاعر انتقاءها فهى توافق المعنى الموضوع له فهناك مراعاة لمقتضى الحال، فهى توحى بالخوف والفزع وتبرز ما يعتريه من قلق وتوتر.

ثم يحسن الشاعر التخلص إلى اعتذاره للنعمان حيث يقول:-

أبلغِ النعمانَ عنّي مَأْلُكاً ... قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعْتَذَرَ
أنَّى واللّهِ فاقبَلْ حَلِفي ... لأبِيل كلّما صلَّى جَأرْ
مُرْعَدُ أحشاؤُهُ في هيكَلٍ ... حَسَنُ لَمتُّهُ واقي الشَّعَرْ(١)

ما حملت الغل من أعدائكم ... ولدى الله من العلم المُسَر
لا تكونن كأسي عظمه ... بأساً حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغى وهنه ... ينجون المشى منه فانكسر
أذكر النعمى التى لم أنسها ... لك في السعى إذا العبد كفر(٢)

أنه يحلف بالله ويطلب أن يقبل حلفه فهو كراهب متبتلٍ خاشعٍ تكاد أحشاؤه ترتعد من الخشوع ثم يشهد الله أنه كثيراً ما سمع من أعدائه كلاماً عليه ولكنه لم يعبأ به ولم يوعز كلام الأعداء صدر الحقد عليه: ثم يتوجه إليه مستعطفاً لا تكونن كآسين عظمه إلخ .. فهو يستعطفه ألا

(١) انظر ديوان عدى بن زيد العبادى، تحقيق محمد جبار المعيبد، ص ٦٠، بغداد، سنة ١٩٦٥م.
(٢) الأغانى للأصفهانى، جـ٢، ص ٥٤٣، وانظر الديوان ص ٦٠، ٦١.

يقسو عليه ولا يبالغ في تعذيبه بعد أن كانا في جسد واحد فهو العظم له ومنه يستمد قوته. ومن هنا يتضح لنا:

أن استعطاف عدي لا يشوبه التذلل والخضوع بل فيه تذكير بالصلة التى كانت تجمعهما في الماضى و الآن هو يريد قطع هذا الحبل وذلك بتعذيبه إياه وقتله له.

ولعدي قصيدة أخرى في الاعتذار وهى:

٤- قصيدته البائية وفيها يقول:

سَعَى الأعداءُ لا يَأْلونَ شَرّاً ... علَّى وربّ مَكَّةَ والصَّليبِ
أرادوا أنْ تُمَهّل عَنْ عدي ... ليُسْجَنِ أوْ يُدَ هذْه في القَليبِ
وكنتُ لِزازَ خصِمكّ لَمْ أُعَرّدْ ... وقَدْ سلكوكَ في يومٍ عَصيبِ
أُعالنُهمْ وأبْطِنُ كلَّ سِرٍّ ... كما بيَّن اللَحاءِ إلى العَسيبِ
فَفُزْت عليهُم لمَّا التَقَيْنا ... بِتاجِكّ فَوْزَةَ القِدح الأريبِ
وما دهْرى بأنْ كدّرتُ فَضْلاً ... ولكنْ ما لقيتُ من الْعَجيبِ

الا مَنْ مُبلغُ النَعمانِ عنىّ ... وقد تُهْدى النصيحةُ بالمغيبَ
أحظىّ كانَ سلْسلَة وقَيْداً ... وغُلاً والبيانُ لدى الطَّبِيبِ
أتاكَ بأنّى قد طال حَبْسِى ... ولم تَسْأمْ بمسجونٍ حَريبِ
وبيتى مقفِرُ إلاَّ نساءً ... أراملَ قد هَلَكْن من النَّحيبِ
يُبَادِرْنَ الدموعَ على عدي ... كَبش خانَهُ خَرْزُ الرَّيبِ
يُلألئْنَ الأكفَّ على عدي ... ويعطِفُ رَجْعُهُنَّ إلى الجيوبِ
وإنْ أخطأتُ أو أوهمتُ أمْراً ... فقد يَهيمُ المُصافي بالحَبيبِ
وأنْ أَظلم فقد عاقبتمُونى ... وإنْ أُظَلمْ فذلكَ من نصيبِي

وإنْ أَهْلك تجد فَقْدى وتخذل إذا التقتْ العَوالى في الحُروبِ
فـإن أت مظلومـاً فعبـد ظلمتَـهُ وإن يك ذا عتب فمثلك يعتيبِ
فهَـلْ لـكَ أن تـداركَ مـا لـدينا ولا تُغْلَبْ على الرأى المصُيبِ
فـإننى قْـدْ وكلـتُ اليـومَ أَمْـرِى إلـى ربٍ قريـبٍ مُسْـتَجيبِ(١)

يبدأ عدي قصيدته الاعتذارية بالقسم ببراءته من هذه الوشاية التى أشاعها الأعداء عنه ثم ما يلبث أن يذكره بعدم تخليه عنه والوقوف بجواره حتى توجه ملكاً وفاز على خصومه فقال:-

وكنـتُ لِـزازَ خصِـمكّ لَـمْ أُعَـرّدْ وقَـدْ سـلكوكَ فـي يـومٍ عَصـيبِ
فَفُـزْت علـيهُم لمَّـا التَقَيْتـا بِتاجِـكّ فَـوْزَةَ القِـدح الأريـبِ

أى كنت مقارن لخصمك وملازمًا له ولم أفارقه ولم أحجم عنك وعن مناصرتك ثم يتساءل في عجب عما لحق به من جزاء تجاه وقوفه بجانبه فقال:

وما دهرى بأن كدرت فضلاً ولكن ما لقيت من العجيب

ثم نراه يتلهف أى إنسان كى ينقل للنعمان ما حدث له قائلاً:

ألا مـن مبلـغ النعمـان عنـي وقد تهدى النصيحة بالمغيب
أحظـيّ كـان سلسـلة وقيـداً وغُـلاً والبيـان لـدى الطبيـب

فهو يشكو ألمه وقيده وسجنه ويطلب من يبلغ النعمان سجنه وتقيده وإعاقته عن الحركة، ثم يؤكد وصول أمره إلى النعمان فيقول:

(١) الدويان ص٣٨-٣٩، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، سنة ١٩٦٥م، وأنظر الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، ج٢، ص ٥٢٩، ٥٣٠، تحقيق إبراهيم الإبيارى، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، المجلد الثانى، طبعة خاصة تصدرها العشب بالقاهرة، وانظر أيام العرب فى الجاهلية، ص ١٦، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

أتاك بأننى قد طال حبسى ولم تسأم بمسجون حريب
وبينى مقفر إلاّ نساءً أرامل قد هلكن من النحيبِ
يبادرن الدموع على عدي كبش خانه حرز الربيبِ
يُلالئن الأكف على عدي ويعطف رجعهم الجيوبِ[1]

فهو يشكو سوء حاله وما حل على بيته من دمار وخراب وأنه أصبح خالى من مظاهر الترف والنعمة ولم يعد فيه سوى نسائه اللائى لا يملكن إلا النياح وذرف الدموع عليه ولطم الوجوه وما ذلك إلا تعبيراً عن شقائهم لما حدث له.

وما أجم تصويره لنياح نسائه بهذه الصورة الفنية الرائعة التى تصور نياح الجاهليون وقد آثر الشاعر الإتيان بالفعل المضارع يبادرن – يلالئن – للدلالة على استمرار بكائهم وحزنهم لما أصابه من سجن.

وأسلوب الشاعر غاية في التأثير على نفوس السامعين فهو في اعتذاره للنعمان يبرهن ويأتى له بحجج منطقية ويعالجها بطريقة عقلية وكأن الفلسفة اليونانية التى دعت إلى استخدام العقل وانتشرت في العصر العباسى قد أخذ بها وألم بها شاعر العصر الجاهلى فما أجمل هذه الحجج وتفنيد القضايا بطريقة عقلية ومنطقية في قوله:

(١) الشعر فى الديوان عديى بن زيد العبادى، من ص ٣٧: ٤٠، تحقيق محمد جبار العبيد، طبعة ١٩٦٥م. وأنظر العشر فى أيام العرب فى الجاهلية، ص ١٥ وما بعدها، تأليف البجاوى وأبو الفضل إبراهيم ومحمد أحمد جاد المولى.

فإن أخطأت أو أوهمت أمراً فقد يهم المصافي بالحبيب[1]
وإن أظلم فقد عاقبتمونى وإن أظلم فذلك من نصيبى
وإن أهلك تجد فقدى إذا التقت العوالى في
وتخذل الحروب

وقد عمد إلى تكرار "إن الشرطية" كوسيلة من وسائل الإقناع والتأثير المنطقى – فإن أخطأت – وإن أهلك – وإن أظلم.

هكذا يتفلسف الشاعر بعرض حججه ودلائله بطريقة منطقية عقلية مما يؤكد موهبته الشعرية وأنه شاعر محدد وكأن عقليته الشاعرة قد تفاعلت مع المضمون الاجتماعى أو الغاية الاجتماعية التى يحاول أن يحققها وهو الاعتذار للنعمان. ومن هنا فقد تحققت مهمة الشاعر لديه من حيث "إحقاقه لغاية معينة وتأديته لمهمة معلومة"[2]، وهو التعبير عما يجول بنفسه من ألم الشكوى فلجأ إلى الشعر ليعبر عنها "فالشعر لغة النفس التى تصاغ في عبارة جميلة التركيب"[3]، ويقول "العواطف والأفكار هى كل ما نعرفه من مظاهر النفس، فالشعر إذن هو لغة النفس، والشعر هو ترجمان النفس"[4]

٥- قصيدته الرائية المكسورة الراء

أبلغِ النعمانَ عنّي مَأْلُكاً أنه قَدْ طالَ حَبْسِي وانتظارِي

(١) الديوان، عدى بن زيد العبادى، تحقيق محمد جبار المعيبد، ص ٣٧: ٤٠، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

(٢) من الشعر للدكتور إحسان عباس، ص ١٣٤.

(٣) من قضايا الشعر والنثر للدكتور عثمان موافى، مؤسسة الثقافة الجماعية، ص ١٩.

(٤) المجموعة الكاملة لميخائيل نعمة "الغربال"، المجلد الثالث، دار العلم بيروت، ص ٤٢٥.

لـو بغيـرِ المـاءِ حَلْقـي شَـرِقُ كنـتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصارِي
ليـت شِـعْرِي عـن دَخيـلٍ يفتـرِي حيثمـا أ درِكَ ليلـي ونَهـارى
مَـأ عِـداً يَكْـرُبُ نفسـي بَثُّهـا وحَراماً كـن سـجنْى واحتْضـاري
أَجْـلَ لُفْمـى رَبَّهـا أو لُكـمْ ودُنُوّي كانَ منكْم واصْطِهاري[1]

البيت الثانى في معجم الشعراء للمرزبان ص ٧٤ والباقى في الأغانى، جـ٢، ص ٥٤٠.

فهو يطلب تبليغ شكواه إلى النعمان بن المنذر ويستعطفه كى يعفو عنه ثم يذكر المثل الذي يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى الواثق من قبله وهو "لو بغير الماء غصصت"[٢]، فيقول أنه كان بمثابة الماء الذي وقع عنه الضرر[٣]

وقد قيل أن عدياً أول من سبق إلى هذا المعنى.[٤] ولقد تداول الشعراء معنى بيت عدي "لو بغير الماء حلقى بشرق"[٥] بعد عدي نفسه ثم يعود مرة أخرى إلى استعطافه وذلك أنه شبه نفسه بطير أبتل ريشه فثقل فعجز عن الطيران.

صورة تمثيلية رائعة فالصورة لأوله صارت مثلاً للتأذى ممن يرجى إحسانه والصورة الثانية صارت مثلاً لإثارة الرحة للعزيز الذي ذل وسقط من بعد عزته ورفعته وذلك في قوله:-

(١) ديوان عدى بن زيد العبادى، ص ٩٣، تحقق محمد جبار المعيبد، طبعة بغداد، سنة ١٩٦٥م.
(٢) مجمع الأمثال للميدانى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، طبعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
(٣) والاعتصار معناه أن يغصَّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً ليسيفه، أنظر خزانة الأدب للبغدادى، جـ٣، ص ٥٩٦، المطبعة السلفية ١٣٤٧هـ.
(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه، جـ١، ص ٣٨.
(٥) معاهد التنصيص للعباسى، ص ٣٢٠، طبعة السعادة، سنة ١٩٤٧م.

لَثِــقُ الــرَيشِ تَــدَلَّى عُــدْوَةً مِنْ أعالِي صَعْبَةَ التَمْرقى طَمارِ

ثم ما يلبث عدي أن يذكره بفضله عليه وأنه من بيت عز وكرم وكأنه يفسر المثل السابق فأتى بتشبيه غامض ثم وضحه بعد ذلك وهذا نوع من التشبيه يسمى التشبيه الضمنى:- وهو الذي يأتى في أعقاب المعانى والتشبيه الضمنى لا يأتى على أى صورة من تلك الصور المعروفة إلا أنك تلمح معناه وأنت تقف تتأمل في البيت من الشعر أو في الجملة من النثر، لتستخرج التشبيه من بين ثناياهما من أجل ذلك فسمى ضمنياً لأنه لا يذكر صراحة في الكلام"[1]، وسر جماله يكمن في خفائه وفي أعمال العقل والفكر للوصول إلى مغزاه وشاعر جاهلى يأتى بهذا النوع من التشبيه فيه دلالة قاطعة على موهبته الشعرية.

وفيه يقول موضحاً ذله بعد عزته وسقوطه بعد ارتفاعه:

نحن كنا قد علمتهم قبلكم عمد البيت وأوتاد الإصار[2]

نحســن الهــن إذا اســتهنأننا ودفاعاً عنك بالأيدى الكبار

فعدي يفسر ويوضح تشبيهه لنفسه بالطير الذي سقط بعد ارتفاع وأن جذوره وأصوله كانت ذا رفعة ومكانة عالية وأنه وأهله له الفضل في ترسيخ دعائم الملك في بيت النعمان وقد اعترف والده بفضلهم ووقرهم وأكرمهم ثم يمدح النعمان قائلاً:

ليت شعرى عن دخيل يفترى حيثمــا أدرك ليلــى ونهــارى

(١) البلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، طبعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص ٧٠.

(٢) الأغانى لأبى الفرج لأصفهانى، ص ٥٥١.

وأنظر الديوان لعدى بن زيد العبادى، ص ٩٤، تحقيق وجمع محمد حبار المعيبد، نشر دار الجمهورية، بغداد، سنة ١٩٦٥م.

لا مـرئٍ لـم يبـل منـى سـقطة إن أصـــابته ملمـــات العثـــار
قاعــداً يكــرب نفســى بثهــا وحراماً كان سجنى واختصارى

ثم يقول:-

وأبــوكَ المــرء لــم يُشْــنَأْ بــه يومَ سيمَ الخسفَ منّا والخَسارِ
أجْــلَ نُعمْــى رَبَّهــا أو لُكــمْ ودْنوّيِ كانَ منكْم واصْطِهارى
أجْــلَ أنَّ اللّــهَ قَــدْ فضَّــلكُمْ فـوقَ مَـنْ أحكَـا صُـلْبا بِـازارِ[1]

هكذا يصرح عدي بكرم أصله بعد أن لمح له من قبل بتلك التشبيه للطائر الذي هوى بعد ارتفاع وهبط بعد عزة واعترف وصرح بفضله على النعمان وأن والده كان يعرف هذا الفضل واعترف به.

ربما يبدو جفاء عدي في ذلك ولكن نتأمل براعة هذا الشاعر في مزجه بين تذكيره لأصله الطيب الذي استحال أمامه قيماً ومثلاً عليا وبين مدحه للنعمان لأنه محط أماله في العفو عنه وفك سجنه فيقول مادحاً له:

عـالم بالـذي يريـد نقـيِ الصَّـدْرِ عــف علــى جُثِــاه نحــورُ
إنْ يُصبنى بعضُ الأذاةِ فلا وانٍ ضــعيفُ ولا أكَــبُّ عَثــورُ
وأنـا الناصـرُ الحقيقـةَ إن أظلـم يــوم تضــيقُ فيــه الصَّــدورُ
يــوم لا ينفــعُ الــرَّواغُ ولا يَنــْ ـصَــعُ إلاّ المشُــبَّع الخَرْيــرُ[2]

(١) الديوان لعدى بن زيد العبادى، ص ٩٣، ٩٤، جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية. بغداد، سنة ١٩٦٥م. الأغانى، ج٢، ص ٥٣٢.

(٢) الحماسة البصرية، جـ٢، ص ٤٠٩.
وانظر حماسة البحترى، ص ٨٦، ٨٧، ص ١٠٣، ١٠٤
الديوان ص من ٩٠: ٩٢، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

والواقع أن عدياً يبدو من خلال الأبيات السابقة والقصيدة كلها مشاعراً بحق وذلك لأنه لم يحك لنا قصة هذا الحدث شأن أى مؤرخ أو راو ولكنه صور لنا أثره على وجدانه في صور فنية رائعة تحفل بكثير من سمات وخصائص الفن الشعرى وتحقق الغاية والغرض من هذا الفن وهو جذب شعور المتلقى وقديماً فطن الناقد الرومانى "هوراس" إلى هذه الحقيقة فقال:

"ليس بكاف في الشعر أن تكون قصائده جميلة، بل ينبغى أن يكون لها سحر، فتجتذب شعور السامع أينما شاءت".(١)

والمتأمل بعمق في اعتذارياته يدرك أن عدياً قد استطاع عن طريق التصوير الوجدانى، لأثر هذه المأساة في نفسه ومشاعره، أن يثير مشاعرنا نحو هذا الحدث بهذه الصياغة الفنية الرائعة التى استغل من أجلها كثيراً من خصائص الفن الشعرى في التعبير والصياغة أحسن استغلال مثل اتخاذه الصورة أداة لنقل المعنى وإحساسه به بدلاً من الحكاية أو السرد واعتماده على بعض العناصر البيانية في تعميق الصورة وإبراز جمالها، كالتشبيه وبعض المحسنات البديعية من جناس وغيره: ولننظر إليه في الأبيات التالية التى تدل على رقته وعدم خشونته فهو يمزج اعتذاره بمدح للنعمان فيقول:

فإن أمسيت مكتئباً حزيناً كثير الهم يسهدنى الإسار
فقد بدلت ذاك بنعم بال وأيام لياليها قصار
ألا من مبلغ النعمان عنّى علانية، وما يغنى السرار
بأن المرء لم يخلق حديداً ولا هضباً توقله الوبار

(١) من شعر لهوراس، ترجمة لويس عوض، ص ١١٦، الطبعة الأولى، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة ١٩٧٠م.

ولكن كالشهاب سناه يحبو وحادى الموت عنه ما يحار[1]
فهل من خالد إمّا هلكنا وهل بالموت، يا لنّاس عار

فنراه يستخدم الموسيقى الملائمة لمعنى الموضوع. فالموسيقى شجية ومؤثره وينبعث الحزن من بين ثناياها. وهى تصور ما آلت إليه نفسه من هم وحزن.. والشاعر أبدع في اختيار الموسيقى الشعرية .. ويرى بعض نقادنا المعاصرين، أن لموسيقى الشعر وظيفة أخرى، علاوة على هذه الإثارة النفسية والفكرية، وهى كونها وسيلة من وسائل التعبير والإيحاء، يقول: "وموسيقى الشعر ليست تطريباً فحسب، بل هى وسيلة من وسائل التعبير والإيحاء، لا تقل أهمية عن التعبير اللفظى بل لعلها تفوقه"[2]

هكذا يبدو لنا عدي معتذراً ولكن اعتذاره فيه الشموخ والكبرياء ليس معتذراً من أجل التكسب بشعره وهو في اعتذاره يصور لنا أثر هذا الاعتذار على نفسه منوعاً في ذلك ما بين تشبيهات في قوله:

ولكن كالشهاب سناه يحبو وحادى الموت عنه ما يحار

وما بين حكمة وعظة من خلال تأمله العقلى فيقول:

بأن المرء لم يخلق حديداً ولا هضباً توقله الأوبار[3]

(١) ديوان عدى بن زيد العبادى ذيل الديوان، ص ١٣٢، ١٣٣، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.
أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ١، ص ٢٣٥، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧، دار المعارف.

(٢) الشعر المصرى بعد شوقى، جـ٣، ص ٢٨٥، للدكتور محمد مندور، دار نهضة مصر.

(٣) ذيل الديوان، ص ١٣٢، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، سنة ١٩٦٥م.

ولقد استخدم عدي الأسلوب المؤثر ومن ذلك تكراره لبعض الكلمات استعطافاً للنعمان ومن ذلك قوله:

ويقول العداة أودى عدي وعدي سخط رب أسير

ظنه شبهت فأملكها القسم فعداة والخبير خبير

وكلانا بر يساعده بر وربى بما أنى معذور

إن ربيِ لولا تداركه الملك وأهل العراق ساء العزيز[1]

وتكرار الشاعر لحرف بعينه قد يكون له مغزى نفسى عميق وقد يرجع هذا إلى صورة الحرف أو شكله أو إلى صوته، وما يوحى هذا الصوت في نفس الشاعر من إيحاءات نفسية معينة، تعكس شعوراً يسيطر عليه وهو بصدد ممارسته لتجربته الفنية في هذه القصيدة أو تلك.[2]

من خلال القصائد التى قالها عدي في اعتذاره للنعمان بن المنذر يتضح لنا:

١- أن عدياً عمد إلى تكرار كلمة أبلغ النعمان عنى في أكثر من قصيدة فهو يطلب تبليغ شكواه من بين قضبان السجن إلى النعمان ولعل تكراره لذلك يدل على شعوره وإحساسه أن ما وصل إليه من حالة الاكتئاب والحزن والتشاؤم ليس صديقه النعمان هو السبب فيها بل أنه لا يعرفها أصلاً وكأنه يحاول تشكيك نفسه أن يكون ربيب نعمته هو سبب بلائه وحزنه وسبب شقائه، ولعل تكراره له دلالة نفسية

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ١، ص ٢٣٥.

(٢) من قضايا الشعر والنثر فى النقد العربى الحديث للدكتور عثمان موافى، مؤسسة الثقاف الجامعية، ص ٤٥.

أخرى وكأنه يؤنبه على ما فعل أو كأنه يثق أن صرخاته لم تصل للنعمان ولو أنها وصلت لفك أسره.

٢- أن عدياً في اعتذارياته ليس المتذلل المنكسر ولكنه العزيز الذي ذل.

٣- اتضح لنا من خلال حياته ونشأته أن عدياً كان أسبق في الاتصال بالبلاط الملكى من النابعة الذبيانى مما يجعلنا نقول إن عدياً بن زيد هو المبتكر لفن الاعتذار لا النابغة كما شاع عند كثير من الرواة.(١)

٤- أن عدياً في اعتذارياته كان شاعراً بحق حيث مزج في اعتذارياته بين حزنه الشخصى وبين مدحه للنعمان وبين تذكيره للنعمان بفضله عليه كل هذا في إطار من الشعر البديع عرضه من خلال صور فنية رائعة تحفل بكثير من سمات وخصائص الفن الشعرى.

٥- وأن عدياً كان في اعتذارياته مبدعاً ولا يقل في إبداعه الفنى عن النباغة وكى يتضح لنا ذلك نعقد موازنة بينهما من خلال شعرهما في رحاب النعمان بن المنذر.

وكى يتضح لنا أن عدياً كان أسبق في الاتصال بالنعمان من المنذر يجدر بنا أن نشير إلى أن "الرواة أجمعوا على أول اتصال للنابغة ببلاط الحيرة كان زمن المنذر الثالث ابن امرئ القيس الثالث.

والنعمان ابن المنذر استمر حكمه لعرش الحيرة من سنة ٥٨٠ إلى ٦٠٢(٢)، وسبق أن ذكرنا أن سجن "عدي" كان عقب تتويج النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة واعتذارياته كانت في السجن أما النابغة فكان اتصاله بالنعمان بعد اتصال عدي به بدليل أنه كان يقول قصائد المدح له

(١) ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى، جـ١، ص ٩١، مكتبة القدسى، سنة ١٣٥٢هـ.

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ١، ص ١٩٤، عز الدين على بن محمد، طبعة ليدن، سنة ١٨٦٧م.

من أجل التكسب عقب توليته العرش ولن تكن العداوة وقعت بينهما بعد أما عدي فقد وقعت مباشرة بعد تتويجه حيث كان تتويجه هو السر في حقد عدي بن مرينا على عدي بن زيد لأنه بدهائه استطاع أن ينتزع الملك من أخيه الذي تولى هو تربيته فحقد عليه ووشى للنعمان مما أدى إلى فساد العلاقة بينهما.

ومن هنا نتوصل إلى أن عدياً هو المبتكر الأول لفن الاعتذار ومما تجدر الإشارة إليه أن وفاة عدي كانت سنة ٣٥ق.هـ أى حوالى ٥٩٠م[١]، ووفاة النابغة كانت بعد موت النعمان والمرجح أن تكون ٦٠٤م[٢]، فهل أجاد في اعتذارياته كإجادة النابغة كى يتضح ذلك رأينا ضرورة عقد موازنة بينهما في إطار اعتذاريتهما.

١- من مدائحه واعتذاره للنعمان يقول:

يا دار مية بالعليا، فالسند أقوت، وطال عليها سالف الأبد

ثم يمدح النعمان بن المنذر فيقول: من وزن بحر البسيط

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشى من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن، أنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فانفعه بطاعته كما أطاعك، وأدلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

(١) ديوان الشماخ بن ضرار هامش ص ١٥١، تحقيق قدرى مايو ، الناشر دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤م.

(٢) ديوان النابغة، تحقيق عباس عبد الساتر "المقدمة"، ص ٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.

إلا لمثلـــك أو مـــن أنـــت ســـابقه سبق الجواد إذا استوى على الأمد(١)

فبعد أن وقف على الأطلال وبكى ديار مية التى مر بها فوجد السيل لم يضرها فبقيت معالمها واضحة بعد خلوها من سكانها الذين رحلوا عنها ثم مرد بالديار وسألها عن أهلها ولكن الديار لم تجاوبه ولم ير أحداً بكلمه، ثم نراه يحسن التخلص من المقدمة الطللية إلى مدح النعمان فيقول: كن حكيماً في أمرك، مصيباً في الرأى ولا تقبل ممن سعى إليك كفتاة الحى إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه، عندما أخبرت عن عدد الحمام، وما صدقها إلا نتيجة لصفاء عينيها وخلوها من الرمد، وكأنه يطلب من النعمان أن يزيل الغشاوة من على عينيه لأنها تمنعه من الرؤية الصحيحة فيكون كزرقاء اليمامة في دقة النظر، ثم بعد مجموعة النصائح للنعمان نراه يعتذر فيقول:

أحكم كحكم فتاة الحى إذا نظرت إلـــى حمـــام شـــراع وار الثمـــد
يحفـــه جانبـــاً نيـــق وتتبعـــه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالـت: ألا ليتمـا هـذا الحمـام لنـا إلـــى حمامتنـــا ونصـــفه فقـــد
فحســبوه فــألفوه كمــا حســبت تسعاً وتسعين لـم تنقص ولـم تزد
فكملـت مسـائة فيهـا حمامتهـا وأسرعت حسبة في ذلك العدد(٢)

(١) ديوان النابغة شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

وانظر ديوان النابغة الزبيانى، ص ٣٠، بدون شرح، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وص ٩، من الديوان بتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وقد أنشد النابغة هذه القصيدة مادحاً الملك النعمان ومعتذراً عما رماه به المنخل الشكرى وأبناء قريع، ويبرئ نفسه من إدعاءاتهم وأكاذيبهم، ولقد اعتبرت قصيدته "يا دار ميه" من المعلقات فى رأى كل من المفضل الضبى وأبى عبيدة وأبى زيد القرشى.

(٢) الديوان ص ٣٤، وانظر ص ١٤، بتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثم يعتذر فيقول:

فـلا لعمـر الـذي مسـحت كعبتـه وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبـات مكـة بـين الفيـل والسـعد
ما قلت ممن سيئ مما أتيت به إذاً فـلا رفعـت سـوطى إلـى يـدى
إلا مقالـــة أقـــوام شـــقيت بهـــا كانت مقالتهم قرعاً على الكبد[1]

فالنابغة يقسم بأقدس مكان عند العرب وهو الكعبة والأنصاب التى حولها وقد أريقت عليها الدماء، ويقسم كذلك بالله تعالى الذي جعل ذلك المكان أمناً على الناس، وعلى الطير التى تنتقل بين أشجار الفيل والسعد لا ينفرها أحد، أو يؤذيها أنه النابغة، ما قال قولاً سيئاً يتناول به النعمان، ولو فعل ذلك، فإنه يطلب من الله أن يشل يده قصاصاً وعقاباً.

ثم يرد النابغة المقالة السيئة إلى أقوام يضمرون له العداوة فسعوا بينه وبين النعمان، فكانت سبب شقائه عند النعمان واشتد وقعها عليه، لأنها هتكته بين الناس وكأنها قرعت كبده ثم يكشف النابغة عن شدة حبه للنعمان الذي يدعوه إلى أن يفتدى بما يملك من مال وبنين، ثم يصور نفسه بالضعف والضآلة أمام النعمان ويمثله أسداً جائعاً يزأر، وقد وقع منه موقع الفريسة.

ثم يستعطف النابغة النعمان، فلا يجعله هو وماله فداء له بل جميع الناس: ويقول له: لا ترمنى بما لا أطيق منك وأنت الذي لا يستطيع الأعداء مهما تأزروا أن يثبتوا له. فيقول:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قدار على زأر من الأسد
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد

(١) نفسه، ص ٣٥ وص ١٥، بتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

لا تقـذفنى بـركن لا كفـاء لـه وإن تأثفـك الأعـداء بالرفـد[1]

٢- قصيدته العينية في اعتذاره للنعمان: من بحر الطويل

ومن القصائد التى قالها معتذراً للنعمان قوله:-

وعيـد أبـى قـابوس فـي غيـر كنهـه أتـانى ودونـى راكـس فالضـواجع
فبـــت كـــأنى ســـاورتنى ضـــئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسـهد مـن ليـل التمـام سـليمها لحلـى النسـاء فـي يديـه قعـاقع
تناذرهـا الراقـون مـن سـوء سـمها تطلقـــه طـــوراً، وطـــوراً تراجـــع
أتانى - أبيت اللعن - أنك لمتنى وتلـــك التـــى مســـتك منهـــا المســـــــــــــــامع[2]

يتوجه بقول النابغة للنعمان: قد أتانى وعيدك وأنا في مأمن بين قومى وبينـى وبينك منـازل مـن بنـى أسد وقد تألمت حفظاً للعهد، فبت مسهداً كأنما لدغتنى أفعى، على غير ذنب أذنبته وبت يمتلكنى الخوف والرهبة، وقد اختار النابغة من الأفعى الضئيلة وهى حية دقيقة قد أتت عليها السنون الكثيرة، أفقدتها لحمها واشتد سمها ثم يصف هذه الأفعى كونها منقطة بالسواد والبياض ومما لا شك فيه أنه يريد بذلك أن الأفعى التى لدغته كانت أشد إيلاماً من غيرها حيث أنها إذا لدغت إنساناً حرم من النوم من شدة الألم، وعلق عليه أهله الحلّى والخلاخيل حتى يفيق ويبرأ، قال الصقيل الأعرابى: إذا لدغ الرجل علقنا عليه الحلى سبعة أيام

(١) الديوان ص ٣٦، وانظر المرشد إلى فهم أشعار العرب، جـ١، ص ٣٦٠، عبد الله الطيب، دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٠م.

(٢) ديوان النابغة، ص ٧٩، ٨٠.
وانظر ديوان النابغة، تحقيق عباس عبد الساتر، ص ٥٣، ٥٤، ٥٥، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

لتنفر عنه الحية فقيل له: إنما تعلق عليه لئلا ينام، فقال: وكيف يمنعه ذلك من النوم، وإنما هو حلى النساء الذي ينمن فيه، وهذه الأفعى من الأفاعى الخبيثة التى قلما استجابت للرقى وأن الرقاة والحاوين يرهبونها ويتخوفون من أن يطأوا حمالها.

ثم يوجه النابغة سؤالاً للنعمان عن سبب ملامته له، تلك الملامة التى أصمت مسامعه كراهة لسماعها، هذه الملامة إذا كنت قد قلتها فإننى استحق منك كل ما تفرضه على، ولكنك تعلم أن ذلك لم يحدث منى ثم يقول: معتذراً له على وزن البحر الطويل:

مقالة أن قد قلت: "سوف أناله" وذلك من تلقاء مثلك رائع[1]

لعمرى وما عمرى عليَّ بهين لقد نطقت بطلاً على الأقارع[2]
أقارع عوف لا أحوال غيرها وجوه قرود تبتغى من تجادع
أتاك أمرؤ مستبطن لى بغضة له في عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول لم أكن لأقوله لولو كتلت في ساعدي الجوامع
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمَنْ ذو إمّةٍ وهو طائع

يعود النابغة فيذكر أمر هؤلاء الأعداء من بنى قريع بنى عوف، الذين وشوا به وأنهم قوم هانت عليهم نفوسهم فلم يحفظوا أعراضهم من رجس الشيمة، ودنس السعاية بالسوء بين الناس، فخرجوا يطلبون المقارعة، ويتشوقون إلى المسبة، وكيف لا يكون أمرهم على هذه الصورة

(١) الديوان ص٨٠، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، بدون تحقيق، وص ٥٤، ٥٥، تحقيق عباس عبد الساتر.

(٢) الديوان ص ٥٥، تحقيق عباس عبد الساتر، الأقارع أى بنى قريع، تجادع أى تشاتم، الشافع أى المعين ولو كبلت فى ساعدى الجوامع أى لو كنت مجنوناً حتى اشد بالحديد ما قلت ما بلغك عنى، الريبة أى الشك، والأمة والإمة: الدين والطريقة المستقيمة.

من الصغار وهم ليس لهم حسب يشفقون عليه، أو كرامة يحرصون عليها، ثم يمضى النابغة في وصفهم في إطار من الهجاء المقذع فيقول: أنهم قوم لهم وجوه القردة ألفت طباعهم قول الباطل وأن امرءاً منهم، في قلبه حسد يكن له العداوة والبغضاء وهو بدوره عدوله، فإذا هما رجلان يثيران حوله الإدعاءات الكاذبة التى لا يخفي ما رواءها من حق وكراهية، وما كانا لينطقان بالحق البين الواضح، وهما من هما في دناءة النفس، وينفي الشاعر أن يكون قد قال شيئاً مما ذكر على لسانه وهو الرجل المترفع الذي يكبر بنفسه، فلا يهينها، وما كان ليقول مثل هذا القول ولو غلت يداه، وكيف يقع في هذا الإثم، وهو المتفانى في طاعة النعمان. ثم يقول في ذلك:

بمصطحبات من لصافٍ وثبْرةٍ يَزُرنَ إلالاً سَيرهُنَّ التدافُعُ
سَماماً ما تُبارى الريح خوصاً عيونها لهن ذرايا بالطريق ودائعُ
عليهن شعثُ عامدون لحجِّهم فهن كأطراف الحَنيى خواضع
لكلفتنى ذنب امرى وتركته كذى العُرِّ يُكْوى غيره وهو راتع
فإن كنت لا ذو الضّغنِ عنى مكذَّبُ ولا حَلْفي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشئ أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع[1]

ويطيل النابغة في اعتذاره للنعمان وهو في ا لأبيات السابقة يصور فزعه حين أتاه أنه يلومه ويحلف له بأيامين الوثنية، ويختار هنا

(١) الديوان ص ٨١، والديوان للنابغة، ص ٥٥، تحقيق عباس عبد الساتر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

بمصطحبات أى الأبل، ولصاف وثبرة، موضعان فى بلاد بنى تميم، السَّمام: طيور تشبه السُمانى، شديد الطيران، عليها شعث أى متغيرون من السفر، الحنيئُ: القسى واحدتها، حنية، الحُرَّ هو داء يصيب الإبل.

الحلف بالإبل التى تصطحب في السير إلى الحج، فعظمها لذلك وأقسم بها، وهذه الإبل تقبل على مكة مسرعة سرعة السمام، حتى لكأنها تبارى الريح، وقد أجهدت من السير وطول السفر، حتى إن بعضها سقط في الطريق إعياءً، فلم ينبعث ولم يستطع براحاً. وقد بقيت منها بقية عليها شعث مغبرون يقصدون الحج، وقد أخذها النحول حتى لكأنها القسى الضامرة. وهذا اليمين العظيم يقسم به متنصلاً مما سمع عنه من بعض الوشاة أنه انصرف إلى الغساسنة يمدحهم ويهجوه، وكان حرياً به أن ينزل سخطه لا عليه، وإنما على هذا الواشى وإلا فمثله ومثل من وسوس للنعمان مثل البصير السليم يكوى من الجرب، والأجرب واقع بجانبه لا يصيبه كى ولا أذى وهى صورة أخرى بارعة. ويقول: إن كنت لا تكذب من لا يصطفن عليِ ولا تصدق يمينيِ ولا حلفي فما أحرانيِ بالرهبة منك، والخوف من بطشك.

وما أبدع تصوير النابغة للنعمان في قوله:

فإنك كالليل الذي هو مُدْركي وإن خلت المنتأى عنك واسع
خطاطيف حُجْنٍ في حبال مثينة تُمدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ
أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسفي إذا ما شئت غير مصَّردٍ بزوراء في حاضاتها المنتك كانع[1]

(١) الديوان ص ٨٢، وديوان النابغة، تحقيق عباس عبد الساتر، ص ٥٦، ٥٧.

فهو يتخيل النعمان كالليل، لا مفر للإنسان من أن يدركه ثم يستعطف النعمان مرة ثانية فصور قصائده التى يرسل بها إليه ليثير عاطفته نحوه، كأنها خطاطيف معوجة مثبتة في حبال متينة، وأيدى النابغة تمد بها إلى النعمان تريد أن تظفر بعطفه ورضاه، ويصور له أمانته وأنه لا يخون عهده، بينما من يخونون هذا العهد يقربهم ويرعاهم. ثم يختم اعتذاره بمدحه والثناء عليه، فهو غيث منعش لرعيته، وسيف مصلت على أعدائه، وقد اصطفاه الله لرعيته فكان عادلاً وفيّاً، لا يقابل الإساءة بالإحسان ولا الإحسان بالإساءة وإنما يقابل الإساءة والإحسان ثم ينتهى بوصف ما فيه من رفاهية العيش ممثلاً لذلك بشربه في كأس مفضضة مزج ما فيه بالمسك والطيب.

ويقول النابغة في قصيدته البائية المضمومة الباء معتذراً للنعمان على وزن بحر الطويل وهو من أفضل بحور الشعر العربى:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التى اهتم منها وانصب
فبت كأن العائدات فرشنني هراساً به يعلى فراشى ويقشب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرءِ مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرءاً لى جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وأخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أرك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مصليٌّ به القار أجُرب

خلت أى حسبت، المنتأى أى البعد، خطاطيف أى حديدة ملتوية توضع فى جانبى البكرة، حجن أى معوجة، ظالع أى ظالم وجائر، سيبه أى كرمه وسخاؤه، مصرد أى عطشان، زوراء أى دار النعمان، فى حافظتها أى فى جوانبها، كانع أى لازم أى أن المسك يلفها ويلازمها باستمرار.

ألـم تـر أن الله أعطـاك سـورةً تـرى كـلَّ مَلْـكٍ دونهـا يتذبـذب
فإنـك شـمس والملـوك كواكـب إذا طلعتْ لم يبد منهم كوكبُ(١)

ففي الأبيات السابقة نجد النابغة يستعرض قضية براءته أنه أقسم برب الكعبة ليبرأ نفسه مما نسب إليه ثم يقول أنه لا يجد أقوى من القسم بالله وما على أبى قابوس غلا أن ينصفه وأن ينصره على أعدائه هؤلاء القوم الذي تجسد فيهم الكذب، ويبدو إحاطة النابغة بكل المواقف التى شنها عليه حاسدوه، ويبدو واضحاً في الرد على تلك الافتراءات وثبت للنعمان أن علاقته بالغساسنة علاقة قديمة ولا يجب أن تفسر على محمل الخيانة، وما على النعمان إلا أن يتدبر الأمر، فالغساسنة ملوك وأخوان كان النابغة يأتيهم فيكرمونه عن وفادته، ويقربونه إليهم، وأن شأنه معم كشأن النعمان نفسه حين يحسن إلى الذين اصطفاهم من الناس، فإذا مدحوه شاكرين، فلا ذنب عليهم.

والنابغة يبين براءته باستخدام الطريقة المنطقية قائلاً عن الحلائق والطباع، أن كل إنسان معرض للخطأ، وأنه ينبغى لمن اتخذ أخا أن يصلح ما كان سيئاً من خلاله ويقوم ما كان فاسداً من خلقه، حتى يبقى على أخوته: ثم يتساءل: أى الرجال المهذب أى رجل من الناس كامل الصفات لا عيب فيه ولا يحتاج إلى تقويم؟

موازنة بين اعتذاريات عدي واعتذاريات النابغة:

(١) الديوان للنابغة بتحقيق عباس عبد الساتر، ص ٢٨٢٧، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، والديوان ص ١٧، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
الهراس أى الشوك ومفردها هراسة، الريبة أى الشك، الواشى أى النمام، المستراد أى الإقبال والإدبار، والمذهب هو موضع الذهاب، ملوك وأخوان يعنى الغسانيين، القار هو القطران، والسورة أى المنزلة الرفيعة، يتذبذب أى يضطرب، الشعث أى المتفرق، المهذب أى المنقى من العيوب المخلص.

وبعد هذا العرض لاعتذاريات كل من عدي بن زيد العبادى والنابغة الذبيانى يجدر بنا أن نعقد موازنة بينهما من خلال هذه القصائد الاعتذارية فنجد أن:

١- أن عدياً استرسل وأفاض في بيان عاطفته المشبوبة تجاه النعمان وهذا يدل على شدة صلته به على عكس النابغة، لقد شكا عدي إلى النعمان كل ما يعتريه من هم وقلق، بسبب سجنه وأبدع في التصوير المؤثر وكان دائماً صادقاً في إحساسه وشعوره أما النابغة فلم تكن علاقته بالنعمان كعلاقة عدي به لذلك فقد أتت تعبيراته تصور عاطفته تجاه النعمان أقل صدقاً وإن كانت تصويراته الشعرية بلغت الغاية في الإبداع.

٢- عكس عدي في اعتذارياته جل القيم التى جمعت بينه وبين النعمان وتحدث عن أصولها وكانت اعتذارياته مرآة صادقة تعكس ما جمعها من روابط قوية وساعده في ذلك بعد طبيعته الفنية وقدرته الإبداعية فلقد كانت تجربته واسعة في شئون الحياة السياسية وتمرس عنيف بشعابها، بالإضافة إلى انغماسه في بوتقة المعاناة في السجن، أما النابغة فاعتذارياته لم تكن أداة لتسجيل واقع علاقته بالنعمان بقدر ما كانت أداة لمدح النعمان والمبالغة في ذلك ولا غرابه فيما ذهب إليه النابغة فالنابغة كان يتكسب بشعره فكان مرتزقاً ويتخذه مهنة واعتذارياته تميل إلى غرض المدح أكثر من الاعتذار.

٣- اعتذاريات عدي أقوى في التأثير على المتلقى من اعتذاريات النابغة وذلك لأن عدياً في اعتذارياته معاتباً أكثر من مادحاً وهو في عتابه غير جاف ولكنه المعاتب المحب الوفي الذي ينكر في نفسه دائماً أن

يكون النعمان وراء تعذيبه وآلامه لذلك فإننا نره كثيراً ما يكرر كلمة "بلغ النعمان" والتكرار الغرض الرئيس منه هو الخطابة ونعنى بالخطابة: أن يعمد الشاعر إلى تقوية ناحية الإنشاء (أى ناحية العواطف، كالتعجب، والحنين، والاستغراب)[1] وما إلى ذلك، وتكرار عدي هنا لهذه الجملة في أكثر قصائده الاعتذارية المراد به تقوية المعانى والروابط التى كانت تجمعه والنعمان بن المنذر فهو في اعتذارياته يعكس العلاقات النامية بين أصوله التى تمتد إلى أجداده وبين أصول النعمان التى تمتد هى الأخرى إلى أجداده ومن خلالها يتعرف المتلقى على ملامح هذه العلاقة التى كانت تجمعهما. أما النابغة على الرغم من أنه كان عظيماً في اعتذارياته إلا أن استغراقه في المدح جعل اعتذارياته الغرض منها التكسب ومما لا شك فيه أن التكسب يغض من شأنها ويحط من قدرها كما تحط من قدره كما قال أحد النقاد "كان النابغة عظيماً رفيع المكانة في قومه، ولكنه تكسب بشعره فغض ذلك منه، وحط من قدره، فقد كان التكسب بالشعر يغض من الشعراء ويحط ومن أقدارهم.

٤- تأتى اعتذاريات عدي من منطق نفس عزيزة ذلت ويتضح ذلك من خلال اعتذارياته التى يبدو دائماً من خلالها مذكراً للنعمان بفضل قومه عليه واعتراف والده بذلك وتذكيره إياه بفضله عليه وتزكيته له دون سائر إخوته حتى تولى العرش. أما النابغة فلا يبدو في اعتذارياته الشموخ والكبرياء الذي نشعر به في اعتذاريات عدي

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب، جـ٢، ص ٤٩٥، دار الفكر، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٠م، بيروت.

فكانت اعتذارياته يشوبها شئ من التذلل والخضوع لذلك فقد تخللها كثير من أساليب المدح المبالغ فيها تجاه النعمان ولا ريب في ذلك فهو المتكسب بشعره.

٥- من حيث الصور والأخيلة

نجد أن اعتذاريات عدي زاخرة بالصور الفنية الرائعة فقد رأينا تصويره لنفسه القلقة المعذبة في قوله:

شَـــئِز جَنْبِـــي كـــأنّي مُهْـــدَأ جعـلَ العـينُ علـى الـدَّفّ إِبَـرْ

فهو يشتكى من طول الليل لا يكاد يستقر على أحد جوانبه كأنه إبراً محماة تخز جنبه وتكويه، فتجعله في حالة قلق لا يعرف الاستقرار، وقوله:

فبـت كـأن العائـدات فرشـنني هراساً بـه يعلى فراشـى ويقشب

وبذلك يكون عدي قد حقق مفهوم الشعر في اعتذارياته ذلك المفهوم الذي حدده النقاد بقول أحدهم "أنه فن ذهنى غرضه العاطفة، وأداته الخيال، أو الخواطر المتصلة التى توجهها العاطفة وجهتها".(١)

وقال العقاد "إنما الشعر استيعاب للمحسوسات، وقدره على التعبير عنها في القالب الجميل وقد تكون هذه المحسوسات عامة شاملة، وقد تكون خاصة محدودة، وقد تكون إدراكاً واعياً لكل ما في الطبيعة والكون والوجدان، وكل ما تتسع له الأرضون والسموات"(٢). وعلى الجانب الآخر نجد أن الصور والأخيلة عند النابغة أتت في اعتذارياته بمعان رائعة

(١) الشعر المصرى بعد شوقى طبعة أولى، ص ٥٦، للدكتور محمد مندور. وانظر النقد العربى الحديث للدكتور محمد زغلول سلام، ص ١٨٣.

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد، ص ٢٣، دار نهضة مصر الطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

وصور شعرية جميلة[١]، وبراعة النابغة تتمثل خير تمثيل في التصوير، سواء من حيث تمثيل المنظر وتجسيمه، أو من حيث التشبيهات وإدخالها في نسيج الأبيات".[٢]

ولقد تحقق الإبداع الفنى في أكثر تشبيهاته التى خرجت إلى حد المبالغة ولننظر إليه في تشبيهه له بالشمس والملوك دونه بالكواكب في قوله:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفي تصويره للنعمان بالليل الذي لا مفر من مجيئه لأى شخص فيقول:

فإنك كالليل الذي هو مُدْركي وإن خلت المنتأى عنك واسع

وفي تصوير قصائده التى يرسل بها إلى النعمان ليثير عطفه عليه كأنها خطاطيف معوجة ثبتت في حبال متينة وأيدى النابغة تمد بها إلى النعمان تريد أن تظفر بعطفه فيقول:

خطاطيف حُجْنٍ في حبال تُمدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ متينة

ولنتأمل تصويره لحالة القلق الذي شعر به عندما علم بتوعد النعمان له فقال:

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلة من الرُّقش في أنيابها السمُّ

(١) تاريخ الأدب الجاهلى للدكتور على الجندى مكتبة الجامعة العربية، سنة ١٩٦٦.

(٢) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف، ص ٢٩٦.

نـــــــــــــــــــــاقع

فهـى صـورة فنيـة رائعـة أى بـت يمتلكنـى الخـوف والرهبـة كأنمـا لدغتنى حية أو أفعى وعندما يختار النابغة الأفعى يختارها أكثرها شراسة فهى إذا عضت إنسان تحرمه النوم من شدة الألم صورة في غاية الإبداع أنها صورة فنية تتبع من شاعر أجاد وأبدع ولكن إذا عقدنا موازنة بينها وبين تصوير حالة القلق التى شعر بها عدي تجاه النعمان نجد أنها لا تقل عن الصورة التى أتى بها النابغة مما يجعلنا نقول عن عدي كما قال أحد النقاد عن النابغة "وفوق فلسفة المعتذر صورة الفنان التى استطاعت أن تسير هذه القرون الطويلة فتؤثر في نفوس من يدرك جمالها وأن تظل حتى الآن لوحات من روعة الفن القديم تخلب نفوس المحدثين من متذوقى الأدب"(١)

٦- من حيث الألفاظ والأساليب

نجد أن عدياً في اعتذارياته يأتى بألفاظ قوية في غير خشونة بمعنى أنها لا يظهر عليها خشونة البداوة فقد تأثر بالروح الحضرية من خلال نشأته في إمارة الحيرة بالإضافة إلى أنه في مدحه للنعمان كان يستخدم الألفاظ الجذلة فهو القائل في مدحه:

مَلِـكُ يقسـمُ الخـزائَن والذّمَـةَ قـــد ردَّهـــا وكـــادَت تَبـــورُ

وهو يرق في ألفاظه في استعطافه له ومن ذلك قوله:

ألا مـن مبلـغ النعمـان عنّـى علانيـة، ومـا يغنـى السـرار
بـأن المـرء لـم يخلـق حديـداً ولا هضـــباً توقلـــه الوبـــار

(١) النابغة الذبيانى للدكتور محمد زكى العشماوى، ص١٠٦، ١٠٧، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٧٩م.

وبذلك نرى سهولة ألفاظه ولا عجب "فكان عدي يسكن الحيرة، ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقة"(١)، والبيئة إما بدوية وإما حضرية ولذلك كان عدي بن زيد وهو ابن الحاضرة على جاهليته أرق من الفرزدق.(٢)

في الوقت نفسه نجد أن ألفاظ النابغة في اعتذارياته تتميز بالسهولة وحسن الديباجة وهو كثيراً ما يستخدم الطريقة المنطقية العقلية في تفنيد ادعاءات الأعداء الواشين به عند النعمان ويتضح ذلك في تقديمه للنصيحة للنعمان أن يكون حكيماً في أقواله وأفعاله فيقول:

أُحكم كحكم فتاة الحى إذا نظرتْ إلى حمام شراع وارد الثَّمدِ
يحفه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرَّمْدِ

فهو يطلب منه أن يكون حكيماً في أقواله وفي أفعاله مثل زرقاء اليمامة وتكون نظرته صائبة في الأمور وأن لا يكون كالذي أصيب بداء الرمد في عينيه فلا يرى الأمور على حقيقتها.

ولنتأمل تبريراته المنطقية في قوله معتذراً للنعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرءِ مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشى أغش وأكذب

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى، ص ١٤٠، الجزء الأول، قدم له وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة.

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب للدكتور إحسان عباس، ص ٣٢٩، دار الثقافة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
وانظر الأسلوب للأستاذ/ أحمد الشايب، ص ١٣١، الطبعة السابعة، سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، مكتبة النهضة المصرية.

فيستخدم الأسلوب المنطقى والطريقة العقلية فيذكر النعمان أنه حلف له بالله وليس وراء الله شئ يحلف به فعليه أن يصدقه في أن هؤلاء الأعداء ما بلغوه من خيانته له هذا بلاغ عدو حاقد تجسد فيه الكذب والرياء.

هكذا أن النابغة استخدم في اعتذارياته اللهجة المنطقية والطريقة العقلية فنشعر بالرقة من خلال الألفاظ التى تخللت هذه القصائد وإذا نظرنا إلى أسلوب عدي في اعتذارياته نجد أنه يتخير الأساليب الموائمة لها والموائمة لحالته النفسية القلقة فهو لم يستخدم الأسلوب المنطقى كما استخدمه النابغة وذلك لأن النابغة لم يشعر بالمرارة والألم كما شعر بها عدي فعدي زج به في السجن أما النابغة فلم يزج به في السجن بل عندما علم بتوعد النعمان له ترك دياره إلى أخرى واكتفي بإرسال اعتذارياته له عن بُعد فهو يعيش حياة مستقرة بعيداً عن السجن وآلامه مما جعله ينمق ويستخدم الطريقة المنطقية أما عدي فظروفه المحيطة سجن وألم وفراق وعدم تصديق جعله لا يستخدم الأسلوب المنطقى الذي استخدمه النابغة.

ومن حيث الموسيقى فنجد أن عدياً وفق إلى حد كبير في اختيار موسيقى اعتذارياته فلقد تخير البحور الخفيفة فاكثر من بحور الرمل والوافر السريع والخفيف وقد قال أحد النقاد في حديثه عن تلك الأوزان القصيرة "وتوجد هذه الأوزان القصار في أشعار المكيين والمدنيين كعمر بن أبى ربيعة ومن جرى مجراه كوضاح اليمن والعرجى، ويشاكلهم في ذلك عدي بن زيد لأنه كان من سكان المدن بالحيرة".(١)

(١) الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى، جـ١، ص ١٧٤، ١٧٥، تحقيق محمود حسن الزناتى "بتصرف"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٧م.

فنجده يستخدم في اعتذارياته الموسيقى المؤثرة ذات النغمة الحزينة فهو القائل:

فـإن أمسـيتُ مكتَئبـاً حَزينـاً كثيرَ الهَمّ يُسْهِدُني الإِسارُ(١)

بالإضافة إلى أن عدياً اعتنى بالموسيقى الخفية في اعتذارياته ما بين جناس وسجع ووحدة للقافية مما يدل على أنه شاعر متمكن من شاعريته.

والنابعة يستخدم أيضاً الموسيقى الملائمة للاعتذار فنجده استخدم بحر الطويل في قوله معتذراً للنعمان:

أتاني - أبيت اللَّعْن - أنك لُمْتني وتلك التى اهتمُّ منها وانْصبُ(٢)
فبت كأنَّ العائدات فرشنني هِراساً به يَعْلَى فراشي ويُقْشَبُ
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرءِ مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرءاً لى جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب

بالإضافة إلى أنه اعتنى أيضاً بالموسيقى الخفية فاكثر من التشبيهات والاستعارات والكنايات والمحسنات البديعية من سجع وجناس وغيرها ولقد أجاد النابغة في تفضيله للطويل دون سواه.

---

(١) ديوان عدى بن زيد العبادى، تحقيق محمد الجبار المعيبد، ص ١٣٣، طبعة بغداد، سنة ١٩٦٥م.

(٢) ديوان النابغة، ص ٢٧، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
أبيت اللعن أى أبيت لعنة أحد، العائدات: اللواتى يزرن المريض، هراساً هو ضرب من الشجر كثير الشوك، يقشب أى يجدد، الواشى هو النمام المفسد.
المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، جـ١، ص ٣٦٢،، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، بيروت.

ونجد الطويل من أطول بحور الشعر العربى وأعظمها أبهة وجلالة، وإليها يعمد أصحاب الرصانة. وفيها يفتضح أهل الرَّكالَة والُهْجنة، والطول أفضل من البسيط وهو أرحب صدراً منه، وأطلق عناناً وألطف نغماً .. وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره ومن رقة الرَّمَل دون لينه المُفرط ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه، وسلم من جلبة الكامل وكزازة الرجز وأفاد الطول أُبّهةً وجلالة. فهو البحر المعتدل حقاً، ونغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به. وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل من الصورة يزينها ولا يشغل الناظر عن حسنها شيئاً، والطويل في هذه الناحية يخالف سائر بحور الشعر العربى.(١)

وبعد هذه الموازنة بين الشاعرين في اعتذارياتهما في رحاب النعمان بن المنذر ويمكننا أن نستنتج ما يلى:

١- أن إبداع عدي لا يقل عن إبداع النابغة في فن الاعتذار إن لم يكن يتفوق عليه في أمور منها:

تنبض اعتذاريات عدي بجو الألم والحزن، فقد مثل "فن الاعتذار" أصدق تمثيل وتحلى بصفات المظلوم الحق قولاً وفعلاً، وما يقتضيه الاعتذار من آداب رفيعة وأخلاق سامية، ولا ريب في ذلك فلقد كان سياسياً بارعاً حينما استعمل الدهاء السياسى في تولية النعمان الملك دون سائر أخوته. فكان النجاح حليفه. فذكر ذلك في اعتذارياته ونستطيع القول: أن بقاءه في السجن أثر في شعره فانتج لنا

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى، جـ١، ص ٨٠، تحقيق محمد محى الدين، دار الجيل بيروت لبنان الطبعة الخامسة ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

اعتذارياته. وقد أظهر عدي من خلال هذا الفن الم وحزن وشجن نادر في ساحة غرض الاعتذار لذا فلا غرابة أن نقول أنه المبتكر لهذا الفن.

٢- اتسمت اعتذارياته بالصدق والإخلاص في القول، والانفعال في المواقف المختلفة بين آن وآخر، ولا غرو في ذلك فلقد كان عدي يعانى من سوء حالته التى تتسم بالحزن فطبع شكوى الشاعر بطابع خاص يعبر فيه عما يخالج نفسه من مشاعر وأحاسيس قد تشمل الناس المصابين بالظلم، مما يسبب تجاوب المتلقى مع الشاعر في شكواه، وانفعاله وتأثره بمواقفه.

٣- صدرت اعتذاريات عدي. مصحوبة بالفخر في غالب الأحيان وليس ذلك بغريب عليه، فقد رافقته العزة وعلو الهمة في حياته كلها فمنعته من الشكوى التى تتسم بالذل والهوان على العكس مع النابغة الذي نشأ، فمدح الملوك، وقبل الصِّلَةَ على الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر، وكان قادراً على الامتناع ممن حوله من عشيرته أو من سار إليه من ملوك غسان، فسقطت منزلته، وتكسب مالاً جسيماً، حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه من عطاء الملوك".

٤- مزج عدي شكواه ببعض الحكم أحياناً مما يدل على تأملاته في الكون والناس والحياة فهو القائل في أثناء اعتذاره للنعمان:

ألا مــن مبلـغ النعمــان عنّــى

بـأن المـرء لـم يخلـق حديـداً ولا هضــباً توقلــه الوبــار[1]

وقال في قصيدة وجهها لهند بنت النعمان:

وقــل المعــروف فــيمن قالــه وامنعن نفسك من قيل الَفَنَدْ[2]

وقال في موطن آخر

ولا تأمنن من مبغض قرب داره ولا مـن محـب أن يمـل فيبعـدا

٥- أن عدياً هو صاحب "الاعتذارات" الأولى التى وجهت للنعمان بن المنذر وليس النابغة كما هو شاع فالروايات تؤكد أن اتصاله بالنعمان قبل اتصال النابغة به بل قبل توليته الملك وأنه استخدم دهاءه السياسى في توليته الملك دون سائر أخوته أما النابغة فلم يتصل به وبالنعمان إلا بعد وفادته عليه وهو أمير للحيرة بالإضافة إلى أن النابغة لم يقل شعراً إلا في سن متأخرة، فنبغ فيه فجأة.[3] بالإضافة إلى أن عدياً قد سبق النابغة في اتصاله بالنعمان بن المنذر وأن دخول عدي السجن كان في أعقاب تولية النعمان مباشرة وأن عدياً هو المدبر الأول لتولية النعمان بن المنذر مقاليد الحكم وأنه عاش أكثر أيامه مقرباً لابن المنذر.[4] مما يجعلنا نحكم بأسبقية عدي في فن الاعتذار وأن النابغة قد أخذ عنه هذا الفن.

(١) ديوان عدى بن زيد العبادى، تحقيق محمد جبار المعيبد، ص ١٣٣.

(٢) الديوان ص ٤٣.

(٣) شرح المعلقات العشر، ص ١٧٩، طبعة ١٩٦٩، مكتبة الرياض الحديثة.

(٤) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ١٨٧ فى الهامش، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجى القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

ولا غرابة في ذلك فعدي سبّاق إلى المعانى فهو القائل:

وثـــلاث كالحمامـــات بهـــا بـين مجثـاهن توشـيع الْحَمْـم

وقد استحسنه البحترى فنظم على منواله:

لها منزل بين الدخول فتوضح متـى تـره عـين المتـيم تسـفح

عفا غيـر نـؤى دارس فـي فنائِهِ ثـلاث أثـافٍ كالحمـائم جُنَّحُ[1]

هكذا كان الشعراء يعجبون بأشعار عدي وينظمون على منوالها، ولا ريب في ذلك فإننا نجد شعر عدي وهو جاهلى - أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما آهلان، لمالزمة عدي الحاضرة وإيطائه الريف، وبعده عن حلافة البدو، وجفاء الأعراب.[2]

والنقد هو إما الحكم بالجودة أو الرداءة وها هو صاحب عيار الشعر يحكم بجودة شعر عدي في إطار حديثه عن عيوب القافية فيقول في ترجمته "شاعر جاهلى نصرانى، اتصل ببلاط كسرى، وعاش أكثر أيامه في الحيرة مقرباً لآل المنذر، وشعره جيد، فيه حكمة وطول تأمل".[3]

وهو القائل:

لـو بغيـرِ المـاءِ حَلْقـي شَـرِقُ كنـتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصارِي

وينشد هذا البيت فيمن تستغيث به وتلجأ به فأخذه أبو نواس فقال:

غضعت منك بما لا يدفع الماء وصـح هجـرك حتـى مـا بـه داء

(١) أنظر الموازنة للأمدى، ص ٤٣٥، ٤٣٦، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ١٦، للقاضى الجرجانى، تحقيق هشام الشاذلى، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البالى الحلبى.

(٣) عيار الشعر لابن طباطا، ص ١٨٧ فى الهامش، تحقيق كمال مصطفى، الناشر، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

فأبو نواس أخذ المعنى عن عدي بن زيد وقد كان بيت عدي أكثر إحاطة بالمعنى المراد أما أبو نواس فقد قصَّر في بيان المعنى مما يدل بفضل السابق على المسبوق.(١)

والمرزبانى(٢) يظهر إعجابه ببيت عدي الذي فيه يقول:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتد

ثم يقول: "روى عن الحسن البصرى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة نبى ألقيت على لسان شاعر "إن القرين بالمقارن يقتدى"، ويذكر الجاحظ أن عمر بن الخطاب كان معجباً بشعر عدي وأنه كان يستشهد به قال في ذلك: قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله قيل للأوسية أى منظر أحسن؟ فقالت قصور بيض في حدائق خضر.

فأنشد عمر بن الخطاب قول عدي

ومما يذكر كذلك أن لعدي شعراً في "الموت" أعجب به سفيان بن عيينة وقد قال في ذلك صاحب العقد الفريد: "وكان سفيان بن عيُينة يستحسن قول عدي بن زيد:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدها وثمود

بينما هم على الأسرة والأنما ط أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أمسى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود

(١) البديع فى البديع فى نقد الشعر، ص ٢٩٠، ٢٩١، لأسامة بن مرشد بمن متقد، حققه عبيد على مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى، ص ٧٣، ٧٤، للإمام أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، صححه وعلق عليه الأستاذ الدكتور/ ف. كرتكو، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٤١هـ/١٩٩١م.

ثم لن ينقض الحديث ولكن بعد ذا الوعد كله والوعيد" (١)

ومن أبياته التى استحسنت في التذكير بالموت قوله:

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وأن أم أين قبله سابورَ
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو ا لحصر إذ بناه واد دجلة تجبى إليه والخابور
لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور(٢)
كرمى العاج في المحاريب أوكا لبيض في الروض زهرة مستنير(٣)

ويروى أن معاوية كان يعجب بشعر عدي(٤) فيقول صاحب الوساطة "زعم الأصمعى أن العرب لا تروى شعر أبى داود وعدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية" وكيف يكون ذلك! وهذا معاوية يفضل عدياً على جماعة الشعراء.

ومن هنا نرى:

"أن هذه الاعتذاريات هى أول اعتذاريات قدمها شاعر عربى للنعمان بن المنذر، وقد سبق فيها اعتذاريات النابغة واعتقد أن السر وراء

(١) أنظر العقد الفريد، جـ١، ص ١٨٨، شرح وتحقيق أحمد آمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبيارى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان ، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

(٢) نفسه، جـ٣، ص ١٩١.

(٣) ديوان عدى بن زيد، ص ٨٤، تحقيق محمد جبار المعيبد، طبعة بغداد، سنة ١٩٦٥م.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه، جـ٢، ص ٢٦٩، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، شرح وتحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، وإبراهيم الإبيارى، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنش.
وانظر الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى، ص ٤٧، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابلى والحلبى، تحقيق هشام الشاذلى.

شيوع وانتشار اعتذاريات النابغة هى أنها صدرت من الأدنى إلى الأعلى بالإضافة إلى أن اعتذارياته كان الغرض منها التكسب ولا ريب أن الاعتذاريات التى دفع فيها قدراً من المال تترددها الأسماع ويحكم لها بالإبداع وتنال من الشهرة ما لا تناله اعتذاريات لعدي تفضل على الأقل بسبقها ويقول حسان بن ثابت عندما أنشد النابغة للنعمان قصيدته التى يقول فيها:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فأمر له النابغة بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلابها من السود. قال حسان فخرجت من عنده لا أ درى أكنت له حسداً على شعره أم على ما نال من جزيل عطائه.(١)

بالإضافة إلى أن اعتذاريات عدي كان اعتذاراً لأبى ذو المكانة الرفيعة وليس اعتذار المتكسب وأقول أنه على الرغم من أن بينهما فروقاً في الأسلوب وفنية العرض، إلا أن لعدي فضل السبق في تناول هذا الغرض، ومن المرجح أن يكون النابغة اطلع على اعتذاريات عدي واستوحى منها اعتذارياته، وألفاظ عدي أكثر سهولة من ألفاظ النابغة ولا ريب في ذلك، فقد عاش في الحيرة فلان لسانه وساير أهل الحضر وتأثر بهم فظهر أثر بيئة الحيرة واضح في شعره، في سهولة ورقة الحياة الحضرية(٢) وعن تأثير البيئة في الملامح.

(١) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص ٥٤، لأحمد بن الأمين الشنقيطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) ديوان عدى بن زيد العبادى، ص ١٧.

يقول أحد علماء النفس في مقدمة الدوافع النفسية لدى شخصية ما: "لا يقتصر نمو الشخصية على تمايز السمات وزيادة عددها، بل يبدو كذلك في زوال بعض السمات أو تهذيبها كما أنه يبدو في اكتساب دوافع، واتجاهات وعادات وميول جديدة".(١)

وعلى الرغم من أن النابغة تميز بأسلوبه المنطقى في اعتذارياته إلا أن هذا لا يقلل من القيمة الفنية لاعتذاريات عدي لأن عدي تفوق في أنه سبق إلى تحصيل المعنى قبل اللفظ وقصد الكلام الجزل دون المَرذْل وقصد القوافي الحسنة لا المستهجنة وجاءت اعتذارياته وكأنها توقيعات وتجنب تعقيد المعانى وتعقيد الألفاظ، وجعل المعنى الشريف في اللفظ الظريف.(٢)

بالإضافة إلى أن اعتذارياته جاءت عنَّ رغبة لا عنَّ رهبة، ولم يسرف في الشكر لأنه إبرام وتثقيل، ولم يسرف في الدعاء لأنه تكسب من السلاطين، هذا بالإضافة إلى التهذيب والترتيب في اعتذارياته فجعلنا نشعر بالمعنى قبل اللفظ والقافية قبل نهاية البيت وقد تجنب الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التى يتوهم أنها مقنعة في إزالة الموجدة ولا يمعن في تبرأة ساحته في الإساءة والتقصير فإن ذلك مما تكرهه الرؤساء.(٣)، ولا ريب في ذلك فهو سيد وليس ينتظر التكسب والعطايا لذلك لم نجد في اعتذارياته اعترافاً بالتقصير والتفريط في أداء حقوق

(١) أصول علم النفس، دكتور أحمد راجح، ص ٤٦٧، الإسكندرية، المكتب المصرى الحديث، ص ١٩٧٦م.

(٢) البديع فى البديع لأسامة بن منقذ، ص ٤١٢، تحقيق عبدا أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٧٤.

النعمان وإنما الفضل كل الفضل له بعد الله في تتويجه ملكاً هذا بالإضافة إلى ما تركته اعتذارياته من تأثير نفسى جعلنا نشعر بشكواه، وهذا أبلغ من العبارة الملتوية، أو الغريبة في لفظها ومعناها، أو الذي يتخللها كثيرة التشبيهات الغامضة أو التشبيهات التى فيها الغلو الغير مقبول.

فالشعر في حقيقة الأمر، شئ غير ذلك التصور فقد يكون الكلام في الذروة العليا من البلاغة الشعرية، وليس فيه خيال شارد، ولا دمعة ولا آهة، بل هو قد يكون أبلغ في الشاعرية، كلما خلا من هذا التصنع واستوى على طريقة الواضح المستقيم والطريق الواضح المستقيم الذي ينبغى للشاعر أن يسلكه هو تصوير حالات النفس، فالشعر الصادق هو شعر الحالات النفسية.(١)

وقد أجاد عدي في اعتذارياته وطوع شاعريته لبيان أسراره فوضع مأساته في إطار شاعريته فخرجت اعتذارياته ناطقة بشكواه تشعر المتلقى بظلم ما يعانيه بشاعرية مبدعة ومما لا شك فيه "أن الأفكار فما تعانيه الأذهان كلها يتواطأ فيه قلب كل إنسان ولسانه، بيد أن فن الشاعر هو فن خصائصها الجميلة المؤثرة، وكأن الخيال الشعرى الشعرىَّ نحلة من النحل تُلمُّ بالأشياء لتُبدع فيها المادة الحلوة للذوق والشعور".(٢)

وبعد هذه النماذج من اعتذاريات عدي يتضح لنا أن لبيئته الحضرية أثر عليه في ألفاظه فهو ابن الحضر الذي رقت ألفاظه فاختلف عن ابن البادية المقيم في الفلاة حيث يرى الجدب الغالب والطبيعة القاحلة

(١) ساعات بين الكتب للعقاد، ص ١٨٨، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٩٦٩م، "بتصرف".

(٢) ومن القلم جـ٣، ص ٢٣٧، للأستاذ مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ضبطه محمد سعيد العريان

الجرداء، والجبال الشم، والصخور الجامدة، والوعول الممتنعة. لن يكون كابن الحاضرة المترفة الخصبة يلقى العيش رقيقاً والملبس ناعماً، والمزارع ناضرة، والإخوان ظرفاء، إذ أن ذلك يطبع الذوق والشعور بطابعه، فلا يقع اللسان إلا على كفاءة من العبارات، فما كان عدي بن زيد كطرفه بن العبد والحارث اليشكرى.

"ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك، ولأجله قال النبى صلى الله عليه وسلم من "بدا جفا" ولذلك تجد شعر عدي وهو جاهلى أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة، وهما آهلان، لملازمة عدي الحاضرة، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو، وجفاء الأعراب".(١)

ومما تجدر الإشارة إليه أن حياته الحضارية جعلته يخطئ في الأوصاف الخاصة بحيوانات البادية فقد أخذ عليه النقاد قوله في وصف الفرس:

فصاف يفرى جله عن سراته يبذ الجياد فارهاً متتابعاً

فأخذوا عليه قوله للفرس فارة وقالوا: لا يقال للفرس فارهُ، وإنما يقال له: جواد وكريم، والفارهُ: البغل والحمار.(٢)

وقال ابن منظور (فاره) "فأما قول عدي بن زيد في صفة الفرس (وأنشد البيت فزعم أبو حاتم أن عدياً لم يكن له بصر بالخيل)، وقد خطأ عدياً في ذلك".(٣)

(١) أنظر "الأسلوب" للأستاذ أحمد الشايب، ص ١٣١، الطبعة السابعة، سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، مكتبة النهضة المصرية.
وانظر الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى، ص ١٦، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، تحقيق هشام الشاذلى.

(٢) الموازنة للأمدى، ص ٣٩، ٤٠، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

(٣) لسان العرب لابن منظور، باب (فاره)، ص ، طبعة

وبذلك نرى أن حياته الحضرية أثرت في أوصافه الخاصة بأهل البادية فلم يجد كإجادة شعراء البادية في إطار وصفه لحيوان الصحراء. مما يدل على أن البيئة لها تأثير كبير في شاعرية أى شاعر سواء في ألفاظه أو في معانيه.

* * *

المصادر والمراجع

١- أدب الدنيا والدين للموردى، تحقيق مصطفي السقا، مكتبة الثقافة، بيروت، لبنان.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان للجرجانى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا.

٣- أصول علم النفس، د/ أحمد راجح، الإسكندرية، المكتب المصرى الحديث، سنة ١٩٧٦م.

٤- الأسس النفسية للإبداع الفنى في الشعر خاصة، د/ مصطفي سويف، الطبعة الرابعة، دار المعارف.

٥- الأسلوب، للدكتور أحمد الشايب، الطبعة السابعة، سنة ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م، مكتبة النهضة المصرية.

٦- الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ.

٧- الأغانى، لأبى الفرج الأصفهانى، تحقيق إبراهيم الأبيارى، طبعة الشعب ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

٨- البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسى، طبعة باريس، سنة ١٩١٩م.

٩- البديع في البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، حققه عبدا، على مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠- البلاغة، فنونها وأفنانها، د/ فضل حسنى عباس، دار الفرقان للنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١- التطور والتجديد في الشعر الأموى، د/ شوقى ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، سنة ١٩٥٩م.
١٢- الحماسة البصرية، تأليف صدر الدين على بن الحسن البصرى، تحقيق مختار الدين أحمد، طبعة علم الكتب.
١٣- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبى، سنة ١٩٤٠م.
١٤- الشعر المصرى بعد شوقى، د/ محمد مندور، دار نهضة مصر.
١٥- الشعر والشعراء لابن قتيبه، تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧م.
١٦- الصناعتين، لأبى هلال العسكرى، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٧- العقد الفريد لابن عبد ربه - قدم له د/ محمد عبد السلام تادمرى - تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الإبيارى وعبد السلام هارون، دار الكتب العربى، بيروت، لبنان.
١٨- العمدة لابن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الجبل بيروت لبنان.
١٩- الفصول والغايات، لأبى العلاء المعرى، تحقيق محمود حسن زناتى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
٢٠- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢١- الكامل في اللغة والأدب للمبرد، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
٢٢- المجموعة الكاملة، لميخائيل نعيمة "الغربال" دار العلم، بيروت، لبنان.

٢٣- المرشد إلى فهم أشعار العرب، د/ عبد الله الطيب، دار الفكر الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٠م، بيروت، لبنان.
٢٤- المسالك والممالك للأصطخرى، طبعة ليدن، سنة ١٨٩٤م.
٢٥- الموازنة للآمدى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.
٢٦- النابغة الزبيانى، د/ محمد زكى العشماوى، طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٩م.
٢٧- الوساطة بين المتبنى وخصومه، للقاضى الجرجانى، تحقيق هاشم الشاذلى، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى.
٢٨- أيام العرب في الجاهلية، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الناشر المكتبة الإسلامية.
٢٩- تاج العروس، للزبيدى، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٠٦هـ.
٣٠- تاريخ آداب اللغة العربية، لجورجى زيدان، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
٣١- تاريخ الأدب الجاهلى، د/ على الجندى، مكتبة الجامعة العربية ١٩٦٦م.
٣٢- تاريخ الأدب العربى، د/ عمرو فروخ، دار العلم للملايين.
٣٣- تاريخ الأدب العربى في العصر الجاهلى، لشوقى ضيف، الطبعة الثامنة، دار المعارف.
٣٤- تاريخ النقد الأدبى عند العرب، د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٣٥- جمهرة أشعار العرب للقرشى، دار صادر، بيروت.

٣٦- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسى، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٤٨م.
٣٧- دائرة المعارف الإسلامية.
٣٨- دراسات في الأدب العربى، تأليف فول غربناوم، ترجمة د/ إحسان عباس ومحمد يوسف نجم واليازجى، طبعة بيروت.
٣٩- ديوان النابغة الزبيانى، تحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.
٤٠- ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق قدرى مايو، الناشر دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤م.
٤١- ديوان المعانى، لأبى هلال العسكرى، مكتبة القدسى، سنة ١٣٥٢هـ.
٤٢- ديوان عدي بن زيد العبادى، تحقيق محمد جبار المعيبد، طبعة ١٩٦٥م، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد.
٤٣- رسالة الغفران، لأبى علاء المعرى، الطبعة الثانية، تحقيق بنت الشاطئ، دار المعارف.
٤٤- ساعات بين الكتب للعقاد، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٩٦٩م.
٤٥- سحط اللآلئ، لأبى عبيد البكرى، تحقيق عبد العزيز الميمنى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٣٦م.
٤٦- شرح المعلقات العشر للتبريزى، مكتبة الرياض الحديثة، طبعة ١٩٦٩م.

٤٧- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، لأحمد بن الأمين الشنقيتى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤٨- شعراء النصرانية، لويس شيخو، طبعة بيروت، سنة ١٩٢٦م.
٤٩- شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.
٥٠- عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق كمال مصطفي، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٥١- فن الشعر، للدكتور إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٢م.
٥٢- فن الشعر، لهوارمس، ترجمة لويس عوض الطبعة الأولى، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة ١٩٧٠م.
٥٣- في الأدب الحديث، للدكتور عمر الدسوقى، دار الفكر العربى، ا لطبعة السابعة، سنة ١٩٧٠م.
٥٤- كنى الشعراء، لأبى جعفر البغدادى، تحقيق عبد السلام هارون.
٥٥- لسان العرب، لابن منظور.
٥٦- مجمع الأمثال للميدانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، طبعة سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٥٧- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسى، طبعة السعادة، سنة ١٩٤٧م.
٥٨- معجم الشعراء للمرزبانى، صححه وعلق عليه، د/ ف كرنكو، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٥٩- معجم ما استعجم للبكرى، تحقيق السقا، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٥١م.

٦٠- من قضايا الشعر والنثر، د/ عثمان موافي، مؤسسة الثقافة الجامعية.
٦١- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفي، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٦٢- وحى القلم، محمد صادق الرافعى، طبعة دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ضبطه محمد سعيد العريان.